# الدولة القراخانية

## في تركستان
## وبلاد ما وراء النهر

١٤٧٢١

د. عبد الغني عبد الفتاح زهرة

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م

١٤٧٣١

# الدولة القراخانية

## فى تركستان
## وبلاد ما وراء النهر

د. عبد الغنى عبد الفتاح زهرة

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

تعتبر الدولة القراخانية أول دولة تركية إسلامية تحكم بلاد ما وراء النهر وتركستان حكما مباشرا ، ووقفت سدا منيعا أمام هجمات الأتراك الوثنيين على العالم الإسلامى ، وعملت على مد حدوده شرقا وشمالا بضم مساحات واسعة إلى العالم الإسلامى ٠

وقد قامت هذه الدولة على أنقاض الدولة السامانية فى أواخر القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) واستمرت حتى منتصف القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى حتى سقطت على يد مملكة القراخطاى البوذية ٠

وعاصرت الدولة القراخانية الدولة الغزنوية فى خراسان والهند وكانت بينهما علاقات ودية أحيانا وعدائية أحيانا أخرى ، كما عاصرت الدولة السلجوقية بعد سيطرتها على خراسان ، وقام السلاجقة بغزو أراضيها إلا أنهم لم يتمكنوا من القضاء عليها ، واكتفوا من الحكام القراخانيين بالتبعية الإسمية وعادوا إلى خراسان ٠

واتسمت الدولة القراخانية بالطابع العسكرى الذى يتميز به الأتراك مما أدى إلى تضاؤل دورهم الحضارى على عكس السامانيين الذين كان لهم حضارة زاهرة فى كافة المجالات لذلك لم نشهد علماء بارزين أو مؤلفات مشهورة ظهرت فى العصر القراخانى ، وكان اعتمادنا فى دراسة تاريخها على مؤرخى الدولة الغزنوية المعاصرين لها مثل

البيهقى ، أو مؤرخى الدولة العباسية فى بغداد مثل ابن الأثير أو مؤرخى الدولة السلجوقية مثل الراوندى وعماد الدين الأصفهانى والحسينى ٠

أما المصادر التى كتبها مؤرخون عن الدولة القراخانية فقد فقدت ولم يصل إلينا إلا عناوينها مثل كتاب تاريخ تركستان الذى أهداه صاحبه لأحد حكام الدولة القراخانية ، وأشار إليه حاجى خليفة فى كتابه كشف الظنون ٠

ولعل هذا هو ما أدى إلى حدوث تناقض فى رواية بعض الأحداث فى المصادر المختلفة وعدم إشارة المصادر إلى تاريخ تولى أو وفاة بعض حكام الدولة القراخانية ، وقد حاولت بقدر الإمكان التوفيق بين الروايات المتناقضة والاعتماد على المصادر القريبة من الأحداث ليظهر تاريخ هذه الدولة متكاملا لأنها لم تنل حظها من الأبحاث والدراسات التاريخية ٠

والله الموفق،،،

**دكتور / عبدالغنى زهرة**

**القاهرة يونيو ٢٠٠٠م**

# الدولة القراخانية

## أصل القراخانيين :

يختلف المؤرخون والرحالة اختلافا كبيرا حول أصل الأتراك القراخانيين ، والمنطقة التى نشأوا فيها ويرجع هذا الاختلاف إلى عدة أسباب:

الأول أن الكتب التى دونها الرحالة والجغرافيون العرب فى القرن العاشر الميلادى الذى ظهر فيه القراخانيون لم تهتم بنشأتهم وربما لم تنتبه لقيام دولتهم لتركيزهم على الدولة السامانية التى كانت تسيطر حينذاك على المنطقة التى بدأ منها القراخانيون فى بلاد ما وراء النهر .

والسبب الثانى أن الكتب التى دونت فى القرن الحادى عشر وما بعده لم تهتم بنشأة القراخانيين لأن الدولة كانت قد قويت واستتب أمرها فركز المؤرخون والرحالة على أعمال حكامها ولم يشتغلوا أنفسهم بكيفية نشأتها والمشاكل التى تعرضت لها، وأصل حكامها وشعوبها.

والسبب الثالث أن المنطقة التى نشأوا فيها وهى التى تمتد من نهر جيحون حتى حدود الصين كان يسكنها ثلاث قبائل من الترك وهم القارلوق والياغما والتشيغيل (جيكيل) وهى القبائل التى يرى المؤرخون أن القراخانيين ينتسبون إلى قبيلة منهم ، وكانت هذه القبائل كثيرة الهجرة والتنقل من مكان إلى مكان فى هذه البلاد لطبيعتهم الرعوية.

ويرى كارايف أنهم يعودون إلى قبيلة تشيغيل التى كانت تقطن منطقة تيان شان الوسطى ــ شرق بلاد ما وراء النهر ــ فى القرن التاسع والعاشر م ، أما غريغوريف وأريستوف وغريونارد فيرون أن القراخانيين من سلالة القارلوق [١] .

ويرى بارتولد أن الأقرب للصواب أنهم ينتمون إلى قبيلة ياغما[٢]. بينما يرى محمد فؤاد كوبريلي أنهم خليط من تشيغيل وياغما وهما من القبائل التركية ذات النفوذ القوى فى آسيا الوسطى[٣].

ويذكر الدكتور أحمد محمود الساداتي أنهم ينتمون إلى الأويغور الذين كانوا يقطنون فى تركستان الشرقية عند سفوح جبال تيان شان[٤].

ونرجح ما ذهب إليه بارتولد من أن القراخانيين يعود أصلهم إلى قبيلة ياغما لأنها كانت تسكن فى القرن التاسع والعاشر الميلاديين حول كاشغر[٥]، وأول ظهور للدولة القراخانية كان فى كاشغر ، كما ورد

---

(١) أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان ــ صـ١٠٩ (أكاديمية العلوم الأوزبكية). د/ سهيل زكار ــ تاريخ الدولة العربية فى العصر العباسى الثانى ــ صـ٩٦ (دمشق ١٩٩٦م) .

(٢) بارتولد ــ تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ــ صـ٩١ ( الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٦م) .

(٣) أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان ــ صـ ١٠٩ .

(٤) د/ أحمد محمود الساداتى ــ تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ــ صـ١٨٤ (دار الثقافة سنة ١٩٧٩م) .

(٥) كاشغر أهم مدن تركستان تقع إلى أقصى الشرق من منابع نهر جيحون، وإلى أقصى الغرب من نهر تاريم، وينسب إليها العديد من علماء المسلمين . ياقوت ــ معجم البلدان ــ جـ٤ صـ٤٣ (دار صادر-بيروت) .

فى بعض المصادر أن قبيلة الياغما سيطرت على مناطق القارلوق فى منتصف القرن العاشر م مما يرجح أنها هى التى أسست الدولة القراخانية[١]، إلا أنه ليس بمستبعد انضمام بعض زعماء القبائل الأخرى للدولة القراخانية، ووصلوا فيها إلى مناصب عليا ، وخاصة بعد توسع الدولة وفتحها بلاد كثيرة فى آسيا الوسطى[٢].

وقد انتشر الإسلام بين هذه القبائل بصورة كبيرة فى القرن الرابع الهجرى (العاشر م ) فيذكر ابن الأثير أنه فى سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م أسلم عدد كبير من الترك يبلغ مائتى ألف خركاه[٣].

وتعتبر قبائل القارلوق من أول القبائل التركية التى اعتنقت الإسلام، وبعد غزو قبيلة الياغما ـ التى ينتمي لها القراخانيون ـ لبلادهم تأثروا بهم واعتنقوا الإسلام ، الذى انتشر بينهم بصورة كبيرة بعد إسلام حكامهم[٤].

---

(١) ابن خلدون ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ جـ٤ صـ٣٨٩ ( بيروت سنة ١٩٧٦م).

(٢) بارتولد ـ تاريخ الترك صـ٩٤ .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل فى التاريخ جـ٦ صـ٣٥٨ (دار الكتاب العربى سنة ١٩٨٥م) والخركاة تعني سرداق أو خيمة أو أسرة كبيرة ، وربما كان هذا العدد فيه مبالغة حيث يصل هذا العدد إلى ما يزيد عن مليون إذا اعتبرنا متوسط كل أسرة خمسة أفراد ، ولكنه يدل على أية حال على دخول عدد كبير من الترك فى الإسلام .

(٤) بارتولد ـ تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ـ صـ٩٤ .

## قيام الدولة القراخانية :

تعتبر الدولة القراخانية أول دولة تركية إسلامية تأسست فى بلاد ما وراء النهر ، وتسمى بهذا الإسم نسبة لأشهر ألقاب حكامها وهو قراخان[١].

كما تعرف أحيانا بأسرة آل أفراسياب[٢]. أو الإيلك خانات[٣]. لأن بعض حكامها كان يحمل لقب إيلك خان[٤].

وكما اختلف المؤرخون حول أصل القراخانيين اختلفوا حول بداية تأسيس دولتهم، إذ أن المصادر المعاصرة لهم لم تهتم بهم إلا بعد دخولهم فى صراع مع الدولة السامانية ثم قضائهم عليها سنة ٣٨٩هـ.

---

(١) تتكون كلمة قراخان من قرا وترجمتها الحرفية أسود ولها معانى أخرى مثل العظيم، الأعلى، الشعب، وكلمة خان معناها الحاكم وعلى هذا تكون كلمة قراخان معناها الحاكم العظيم ، أو الأعلى أو حاكم الشعب، أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان صـ١١٠ .

(٢) أفراسياب بطل أسطورة ثوران الفارسية التى تأثر بها الأتراك القراخانيون أثناء تبعيتهم للدولة السامانية الفارسية ، ونسبوا أنفسهم إلى هذا البطل الذى قام بأعمال وبطولات عظيمة فى تركستان الشرقية ، وكانت عاصمته هى كاشغر حسبما ورد فى الملحمة ، وهى المدينة التى بدأ منها القراخانيون.د/ سهيل زكار ــ تاريخ الدولة العربية صـ٤٦ .

(٣) د/ حسين مؤنس ــ أطلس تاريخ الإسلام ــ صـ٢٣٢ (الزهراء للطباعة والنشر سنة ١٩٨٧م) .

(٤) إيلك خان معناه الحكام الإقطاعيين أو حكام المناطق ، وهذا اللقب أقل من قراخان، وربما كان يلقب به حكام الأقاليم فى الدولة القراخانية . أحمدوف . منوروف . العرب والإسلام فى أوزبكستان صـ١١٠ .

ويبدو أنهم كانوا يحكمون كاشغر وما حولها منذ فترة طويلة قبل اعتناقهم الإسلام ، وأول من اعتنق من حكامهم الإسلام هو ساتوك بوغرا قراخان[١].

وتوجد عدة روايات حول إسلامه:الأولى أنه أسلم على يد أحد الدعاة الفقهاء ويسمى كلماتى الذى أسلم على يديه عدد كبير من الترك فى منتصف القرن العاشر م [٢] .

والرواية الثانية تقول أنه أسلم على يد أحد الأمراء السامانيين ويسمى أبى نصر السامانى فى عصر عبد الملك بن نوح السامانى (٩٥٤ ــ ٩٦٤م) وكان من الدعاة الأتقياء ويعمل بالتجارة، فذهب بقافلة تجارية إلى كاشغر فأعجب بوغرا قراخان ببضائع التجارة الإسلامية وخاصة المنسوجات ، ثم اهتم بعد ذلك بعبادات الإسلام ، وبدأ يدرس تعاليمه حتى اعتنق الإسلام[٣] .

والرواية الثالثة وهى تجنح إلى الخيال أنه أسلم بناءا على أمر نزل عليه من السماء أثناء النوم[٤].

---

(١) اختلفت المصادر فى كتابة اسمه فيذكر ابن الأثير أن اسمه بغراخان ــ جـ ٩ صـ ٩٥ ويذكر ابن خلدون أن اسمه سبق قراخان وسمى بعد إسلامه عبد الملك جـ ٤ صـ ٣٨٩ وكلمة بوغرا معناها الجمل ذو السنامين الفحل ــ أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان ــ صـ ١١٠ .

(٢) بارتولد ــ تاريخ الترك ــ صـ ٩٦ .

(٣) أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان صـ ١٣٠ .

(٤) يذكر ابن خلدون أنه رأى فى منامه رجلا نزل من السماء فقال له باللسان التركى ما معناه أسلم تسلم فى الدنيا والآخرة فأسلم فى منامه ، وأصبح مظهرا لإسلامه" العبر ــ جـ ٤ صـ ٣٩٦ .

وقد ساعد إسلام ساتوك بوغرا قراخان على انتشار الإسلام بين قومه فى كاشغر وبلاساغون[١] وما حولهما من قبائل الترك ولعله استعان ببعض الدعاة المسلمين الذين ساعدوه فى ذلك، ويبدو أن ما ذكره ابن الأثير ــ وأشرنا إليه سابقا ــ وهو إسلام مائتى ألف خيمة (أسرة) من الأتراك فى عام واحد كان ثمرة لجهود ساتوك بغراخان ومن معه من الدعاة ٠

ولم يرد فيما تيسر لنا من المصادر مولد ساتوك بغراخان أو بداية توليه الحكم وإنما أشارت بعض المصادر إلى تاريخ وفاته سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م[٢] باستثناء رواية واحدة لمنهاج الدين الجوزجانى فى طبقات ناصرى أشارت إلى أنه ولد سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٤م وتوفى سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م[٣] وهى رواية بعيدة عن الصواب لتعارضها مع باقى المصادر وخاصة المعاصرة للأحداث والقريبة منها إذ يذكر البيهقى وابن الأثير أن هارون بغراخان حفيد ساتوك بغراخان كان حاكما للدولة القراخانية سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٢م [٤]، مما يدل على أن

---

(١) بلا ساغون: تعرف عند المغول باسم جوبالق ومعناها المدينة الجميلة وتقع بالقرب من كاشغر شمال نهر سيحون ــ ياقوت ــ معجم البلدان جـ١ صـ٤٧٦ ، وتقع حاليا شمال مدينة أورمجى عاصمة إقليم التركستان ــ سينكيانج ــ بالصين . فامبرى ــ تاريخ بخارى ــ صـ ١٤٣ (المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر سنة ١٩٦٥ ) ٠

(٢) بارتولد ــ تاريخ الترك ــ صـ٩٤ ٠

(٣) أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان ــ صـ ١١٠ ٠

(٤) البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـ٢١٤ ( دار النهضة العربية سنة ١٩٨٢م)، ابن الأثير ــ الكامل فى التاريخ ــ جـ٩ صـ٩٨ (دار صادر سنة ١٩٦٦م)

جده قد توفى منذ فترة طويلة، وهذا ما يجعل التاريخ الأول هو الأقرب للصواب .

وعلى هذا يمكننا القول أن الدولة القراخانية تأسست فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) فى مدينتى بلاساغون وكاشغر وما حولهما من المناطق التى كانت تسيطر عليها القبائل التابعة لهم،وكان يتولى الحكم فى أول الأمر أرسلان خان بازير والدساتوك بوغرا ومقره فى بلاساغون،ويساعده فى الحكم أخوه قادرخان أغولتشاك ومقره فى تاراز بوادى نهر جو (تشو)، وكانت هذه البلاد مجاورة لأملاك الدولة السامانية[1] فى بلاد ما وراء النهر ، وقد سعى السامانيون للتوسع فى هذه البلاد ، وبسط نفوذهم عليها لنشر ا لإسلام بين الأتراك الوثنيين ، مما أدى إلى حدوث صدام مبكر بين السامانيين والقراخانيين ، فقد قام إسماعيل بن أحمد السامانى فى عام

---

(١) تنسب الدولة السامانية إلى أسرة فارسية نبيلة تدين بالديانة المجوسية ثم أسلم جدهم سامان أحد أشراف مدينة بلخ فى أواخر العصر الأموى ، وسمى ابنه أسدا تيمنا باسم والى الأمويين على خراسان أسد بن عبد الله القسرى، ثم أنجب أسد أربعة أبناء عملوا فى خدمة الخليفة العباسى المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٢م) فولى نوح بن أسد على سمرقند، وأحمد بن أسد على فرغانة ويحيى بن أسد على الشاش وأشرو سنة وكلها أقاليم فى بلاد ما وراء النهر ، ثم إلياس بن أسد على هراة بخراسان،ولما تولى طاهر بن الحسين أقرهم فى أعمالهم ، فلما ضعفت الدولة الطاهرية ، وقامت الدولة الصفارية ، قدرت الخلافة للسامانيين إخلاصهم ، فجعلت بلاد ما وراء النهر إقليما منفصلا ، وأصدر الخليفة المعتضد تقليدا بولاية نصر بن أحمد السامانى عليه سنة ٢٦١هـ / ٨٧٤م،واتخذ مدينة بخارى عاصمة له،وكان هذا بداية الدولة السامانية.د/ مصطفى رمضان ــ العالم الإسلامى فى العصر العباسى ــ صـ ٢٩٤ (القاهرة ١٩٩٨م) .

٢٨١هـ/ ٨٩٣م بغزو تازار التى يحكها قادرخان أغولتشاك عم ساتوك بوغراخان،وأسر زوجته وألف وخمسمائة من جنوده ، بينما فر أغولتشاك ومن بقى معه إلى كاشغر حيث جعلها قاعدة لحكمة بدلا من تازار(١).

ولم يتابع السامانيون توسعهم فى بلاد القراخانيين لحدوث اضطرابات فى الدولة السامانية وضعفها بعد عصر إسماعيل بن أحمد السامانى ، ودخولها فى حروب مع بعض القوى الإسلامية فى الغرب.

ولم ينتهز القراخانيون هذه الظروف ويتوسعوا حينذاك على حساب الدولة السامانية لانشغالهم أيضا بحروب مع القبائل التركية المجاورة لهم، فقد كانوا فى حرب مع قبائل باسميل المؤلفة من أربعين عشيرة والقاطنة فى شمال شرق تيان شان فى منطقة بيشباليك، وفى الشمال كانوا فى حرب مع قبائل يماك فى وادى إيرينتش، وكان أخطر أعدائهم قبائل ياباكو التى تعيش فى وادى إميل شمال شرق تيان شان(٢).

---

(١) د/ أحمد مختار العبادى ــ فى التاريخ العباسى والفاطمى ــ صـ١٥٣ (دار النهضة العربية ببيروت ) أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان ــ صـ١١١ .

(٢) د/ أحمد الساداتى ــ تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ــ صـ١٨٣، أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان صـ١١١ .

## عصر ساتوك بوغراخان واستقرار القراخانيين :

بعد وفاة أرسلان خان بازير تولى ابنه ساتوك بوغراخان حكم بلاساغون ثم امتد حكمه إلى كاشغر بعد وفاة عمه أغولتشاك، ولم تشر المصادر ــ التى تيسرت لنا ــ إلى بداية تولية الحكم، إلا أنه يبدو أن ذلك كان فى بداية القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، وقد استهل حكمه بتوطيد نفوذه فى إقليم تيان ــ شان الذى تشاركه فيه العديد من القبائل التركية ، فسيطر على العديد من البلاد، وخضعت كثير من القبائل لسلطانه(١).

أما علاقته بالدولة السامانية فكانت عدائية فى أول الأمر(٢)، ثم تغير الحال بعد اعتناق ساتوك بوغراخان الإسلام، فأعلن طاعته وولاءه للدولة السامانية وحكامها ، بل وشارك القراخانيون السامانيين فى حروبهم ضد القوى المعادية لهم، ومنعوا غارات القبائل التركية الأخرى على أملاك السامانيين(٣).

وبعد وفاة ساتوك بوغراخان سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م تولى الحكم بعده ابنه سليمان وحمل لقب بوغراخان أيضا مثل أبيه، وسار على سياسته فى طاعة السامانيين الذين كانوا يستنفرونه فى حروبهم، ويبدو

---

(١) بارتولد ــ تركستان من الفتح العربى حتى الغزو المغولى ــ صـ٣٨٨ (الكويت ١٩٨١م).

(٢) يدل على ذلك ما ورد فى بعض المصادر حول فرار أمير سامانى يسمى أبى نصر السامانى إلى ساتوك بوغراخان ولجوئه إليه طالبا الحماية من حكام الدولة السامانية، إذ لو كانت العلاقة بينهما طيبة لتخوف الأمير من تسليمه للحكام السامانيين مرة أخرى. بارتولد ــ تاريخ الترك ــ صـ٩٦ .

(٣) ابن خلدون ــ العبر ــ جـ ٤ صـ٣٨٩ .

أنه استعان بهم أيضا فى توطيد حكمه وتوسيع نفوذه فى إقليم فرغانة والشاش ووادى تالاسى، وبذلك شمل سلطان القراخانيين أواسط وادى نهر سيحون( سرداريا) [١].

## نهاية الدولة السامانية واستقلال الدولة القراخانية :

بعد وفاة سليمان تولى ابنه هارون[٢] الذى حمل لقب أبيه وجده بوغراخان كما تلقب أيضا بلقب إيلك خان[٣].

وقد اختلفت سياسته عن أبيه وجده بالنسبة للدولة السامانية إذ دخل فى صراع معها وشارك فى القضاء عليها ليحقق الاستقلال لدولته، منتهزا فى ذلك الظروف التى كانت تمر بها الدولة السامانية وأهمها ضعف حكامها بعد إسماعيل بن أحمد السامانى سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٧م، وكثرة القوى المعادية لها مثل البويهيين فى العراق ، والغزنويين فى أفغانستان ، والعلويين فى طبرستان ، ثم تمرد بعض قادة الجيش السامانى على الحكام ، ومحاولتهم الاستقلال ببعض أقاليم الدولة[٤].

وقد بدأ الصراع بين الطرفين سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م لرغبة هارون بوغراخان فى السيطرة على أملاك السامانيين فى بلاد ما وراء

---

(١) أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان صـ١١١ ، د/ سعد الغامدى ــ الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند ــ صـ٤٤٩ (الرياض سنة ١٩٩٦م) .

(٢) لم يرد فى المصادر تاريخ تولى هارون الحكم ، ونرجح أنه كان سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م أو قبل ذلك بقليل لأن المصادر ذكرت اسمه وأعماله كثيرا منذ عام سنة ٣٨٢هـ ١٩٩٢م ــ ابن الأثير جـ ٩ صـ٩٥ .

(٣) ربما تلقب فى أول الأمر بلقب إيلك خان ، وبعد اتساع سلطانه حمل لقب بوغراخان الذى يعتبر أعلى مكانة من إيلك ــ كما سبق وذكرنا معنى كلا منهما .

(٤) د/ أحمد الساداتى ــ تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ــ صـ١٨٣

النهر وخاصة بخارى وسمرقند ، وواتته الفرصة لتحقيق ذلك حينما راسله أبو على سيمجور أحد قادة السامانيين الذى كان يحكم خراسان وأراد الاستقلال بحكمها فى عصر الأمير السامانى نوح الثانى (٣٦٦ ـ ٣٨٧هـ/٩٧٦ ـ ٩٩٧ م)، وقام بجباية خراج خراسان، ورفض أن يرسل إلى نوح الثانى بعض الأموال التى كان فى حاجة إليها لتجهيز جيشه ، إلا أنه خاف عاقبة منعه المال عن الأمير السامانى ، فكاتب هارون بوغراخان يدعوه للتوجه إلى السيطرة على بخارى ، ويطمعه فى السامانيين ، ويظهر له مدى ضعفهم ، واتفقا معا على محاربتهم على أن يكون لأبى على سيمجور خراسان ، والقراخانيين بلاد ما وراء النهر كلها[١].

وفى نفس الوقت أعلن قائد آخر من قادة السامانيين التمرد والعصيان يسمى فائق ، وسيطر على هراة[٢] فأرسل إليه الأمير نوح الثانى جيشا حاربه ، وانتصر عليه، فتوجه فائق إلى ترمذ ، وأرسل إلى هارون بوغراخان يدعوه أيضا للتوجه إلى بخارى ويطمعه فى بلادهم، على أن يقدم فائق المساعدة له أثناء الحرب[٣].

وسرعان ما أعد هارون بوغراخان جيشه، وبدأ فى الزحف على بخارى مسيطرا فى طريقه على البلاد التابعة للسامانيين ، فلما علم

---

(١) ابن الأثير ـ الكامل ـ جـ ٩ صـ ٩٨ .

(٢) هراة مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان يقول عنها ياقوت : "لم أر بخراسان مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة،محشوة بالعلماء، ومملوءة بأهل الفضل والثراء" معجم البلدان ـ جـ ٥ صـ ٣٩٦ .

(٣) ابن الأثير ـ الكامل ـ جـ ٩ صـ ٩٩ .

الأمير نوح الثانى بخبر زحفه جهز جيشا وأرسله لوقف زحف القراخانيين،ولكنهم انتصروا عليه،وفر من تبقى من الجيش السامانى إلى بخارى ، وهارون بوغراخان فى أثرهم ، فجمع الأمير نوح قواته مرة أخرى ، وتولى قيادتها بنفسه ، وخرج للقاء هارون بوغراخان، واقتتلوا قتالا شديدا بالقرب من بخارى ، وانتهت المعركة بهزيمة هارون بوغراخان، وعاد منهزما إلى بلاساغون مقر حكمه[١].

ورغم هزيمته فإن هارون بوغراخان جهز جيشه وتوجه فى العام التالى سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٢م للسيطرة على بخارى، وخاصة أن رسل القادة السامانيين المتمردين أبى سيمجور وفائق ما زالت تتردد إليه تستحثه على مهاجمة بخارى، والسيطرة على أملاك السامانيين فى بلاد ما وراء النهر، وفى الطريق إلى بخارى سيطر هارون على سمرقند، فجهز الأمير نوح الثانى جيشا كبيرا بقيادة انج (آياتش) أبرز القادة السامانيين، وعند التقاء الجيشين انتصر بوغراخان ، وأسر انج وعدد من قادة جيشه وفر باقى جنده إلى بخارى[٢].

وعندما وصلت أنباء الهزيمة إلى مسامع الأمير نوح الثانى أدرك أن بخارى هى هدف بوغراخان التالى فأرسل إلى قائده المتمرد ضده أبى على سيمجور يستنصره ويطلب منه القدوم إليه بجنده ، وهو لا يدرى أنه هو الذى حرض بوغراخان على غزو بخارى ، ولذلك لم

---

(١) النويرى نهاية الأرب ــ حـ ٢٥ ص ٣٦٠ ( الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٤)

(٢) ابن خلدون ــ العبر ــ جـ٤ صـ٣٩٠، د/ حسن إبراهيم حسن ــ تاريخ الإسلام السياسى ــ جـ٣ صـ٨٠ (مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥) .

يجب أبو على سيمجور دعوة الأمير نوح الثانى ، ولـــم يـــرد علـــى رسالته، بل وازداد طمعه فى الاستيلاء على جميع أنحاء خراسان[١].

وأثناء توجه بوغراخان إلى بخارى انضم إليه القـــائد الســـامانى المتمرد فائق ومعه جنده[٢]، فصارت جموعهم كبيرة، فلما اقتربوا مـــن أسوار بخارى ، هرب الأمير نوح الثانى، وعبر نهر جيحون، وأقـــام فى مدينة آمل ــ جنوب نهر جيحون ــ وانضم إليه الكثير من أتباعـه، وأرسل إلى أبى على سيمجور يستنجد به مرة أخرى ليسانده، ولكنه لم يستجب له ، لرغبته فى القضاء على الدولة السامانية ليثبت أقدامه فـــى حكم خراسان، وربما يؤسس فيها دولة لنفسه ، ولأسرته من بعده[٣].

أما فائق القائد السامانى المتمرد أيضا فبعد انضمامه إلى هـــارون بوغراخان ، والسيطرة على بخارى بعد فرار الأمير نوح الثانى فقـــد

---

(١) ابن الأثير ــ الكامل ــ جـ ٩ صـ ٩٩ .

(٢) ورد فى بعض المراجع أن فائقا انضم فى أول الأمر إلى الأمير نوح الثـــانى الذى أسند إليه قيادة الجيش والتوجه لمحاربـــة القراخـــانيين ، ولكنـــه خـــان السامانيين أثناء المعركة ، وانضم بقواته إلى بوغراخـــان ، وانضـــوى تحـــت رايته، أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان صـــ١١٢ .
ولكننا نستبعد حدوث ذلك لعدم وجود مصادر تؤيدها بالإضافة إلى ذلك فإنـــه ليس من المحتمل أن يثق الأمير نوح الثانى بقائد سبق وأعلن تمرده وعصيانـــه فيسند إليه قيادة جيشه فى معركة تحدد مصير دولته، ولكن يمكن له أن يتولـــى قيادة فرقة أو على الأكثر جناح من الجيش، وليس الجيش بأكمله .

(٣) البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـــ ٢٢١ .

استأذن بوغراخان فى التوجه إلى بلخ[١] والاستيلاء عليها، فأذن لـــه ، فسار نحوها وسيطر عليها[٢] .

ولم يستمر هارون بوغرا خان فى بخارى طويلا ــ وخاصة بعد أن أصابه مرض بها ــ فقرر العودة إلى كاشغر ، وتسليم بخارى إلـى الأمير السامانى عبد العزيز بن نوح بن نصر السامانى عم الأمير نوح الثانى ، وخلع عليه ثم قال له: "سمعت أنهم اغتصبوا ولايتك وهـــأنذا أعيدها إليك ، لما أعهده فيك من الشجاعة والعدالة ، وحسن الســيرة ، فلتكن على ثقة بأنى سأكون عونا لك كلما دعت الحاجة إلـــى العــون والمساعدة"[٣].

وقفل بوغراخان عائدا إلى كاشغر، إلا أنه لم يتمكن من بلوغـــها، وتوفى فى الطريق بمنطقة كوتشكار ــ باشى ــ بالقرب من ســـمرقند فى أواخر سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م[٤] ، بينما عاد جنده إلـــى بلادهـــم ،

---

(١) بلخ مدينة مشهورة بخراسان جنوب نهر جيحون ، ولذلك كان يطلـــق عليـــه أحيانا نهر بلخ، وهى أكثر المدن خيرا وأوسعها غلة، وتحمل غلتها حينـــذاك إلى جميع خراسان وخوارزم . ياقوت.معجم البلدان ــ جـ ١ صـ ٤٧٩ .

(٢) النويرى ــ نهاية الأرب ــ حـ ٢٥ ص ٣٦٣ ، الذهبى ــ تاريخ الإســـلام ــ حـ ١٠ ص ٣٩٣ ( دار الغد العربى سنة ١٩٩٦م) .

(٣) البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـ ٢١٤ .

(٤) رغم حداثة عهد القراخانيين بالإسلام إلا أن بعض المصادر أثنت على حسن إسلام بوغراخان فقال عنه ابن الأثير: "كان دينا ، خيرا، عادلا، حسن السيرة، محبا للعلماء وأهل الدين، مكرما لهم ، وكان يحب أن يكتب عنه: مولى رسـول الله صلى الله عليه وسلم" الكامل جـ٩ صـ١٠٠ . ووصفه ابن خلدون أيضـا بنحو ذلك ــ العبر ــ جـ٤ صـ٣٩٠، د/ أحمد محمـــد عـدوان ــ تـاريخ دويلات المشرق الإسلامى ــ صـ١٠٤ (عالم الكتب بالرياض سنة ١٩٩٠م)

وتولى حكم القراخانيين ابنه أبو نصر أحمد وتلقب بلقب إيلك خان كما اشتهر أيضا بلقب طغان خان[١] .

ورغم نجاح القراخانيين فى السيطرة على بخارى وسمرقند إلا أن المصادر لم تشر إلى الأسباب الحقيقية لتراجعهم عن هذه البلاد، وإعادتها للسامانيين مرة أخرى .

وربما كانوا يعانون من مشاكل فى الجبهة الشرقية مع جيرانهم من القبائل التركية الوثنية بالإضافة إلى مرض هارون بوغراخان فى بخارى فلم يسترح فى الإقامة بها، لذلك قرر عودة الحكم السامانى إليها حتى يوطد أقدامه فى بلاده ، ويقضى على مشاكله مع جيرانه، ثم يعود للسيطرة على بلاد ما وراء النهر مرة أخرى، ولكنه توفى بعد قليل، وتحقق ذلك على يد أبنائه بعد سنوات قليلة .

ولما علم الأمير نوح الثانى السامانى برحيل القراخانيين عن بخارى عاد إليها مع أصحابه حيث فرح الناس بقدومه ، لكنه ارتكب خطأ فادحا حيث قبض على عمه عبد العزيز ــ الذى سلم له القراخانيون بخارى ــ واعتقله ، وملأ عينيه بالكافور حتى أعماه[٢] .

وقد توفى الأمير نوح الثانى سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م ، وتولى بعده ابنه منصور بن نوح، وازداد ضعف الدولة فى عصره حيث سيطر

---

(١) بارتولد ــ تاريخ الترك ــ صـ ٩٩ .
(٢) البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـ ٢١٥ .

الغزنويون[١] على خراسان ، وطمع فيهم القادة وحكام الولايات[٢] ، ولما علم بذلك إيلك خان جهز جيشه وتوجه إلى سمرقند بعد أن سيطر على كل البلاد التابعة للسامانيين فى طريقه إليها ، حيث كان يحكمها فائق أحد قادة السامانيين الموالين للدولة القراخانية[٣] .

وقد مكث إيلك خان فى سمرقند ثم أرسل جيشا بقيادة فائق ليسيطر على بخارى ، فلما علم بأمره الأمير منصور بن نوح، ترك بخارى وعبر نهر جيحون متوجها نحو خراسان ، ودخل فائق بخارى، ولكنه أظهر لمن بها من العلماء والقادة أنه قصد المقام بها فى خدمة الأمير منصور بن نوح رعاية لحق أسلافه عليه، وأعلن تمرده على إيلك خان ، ثم أرسل بعض مشايخ بخارى إلى الأمير منصور يطلب منه العودة إلى بلده وملكه، وأعطاه من نفسه ما يطمئن إليه من العهود

---

(١) الدولة الغزنوية تأسست فى غزنة على يد مملوك تركى هو سبكتكين الذى تولى إمارة غزنة من قبل السامانيين سنة ٣٦٦هـ ثم تولى إمارة خراسان لجهوده فى مساندة السامانيين ، ثم بلغت الدولة الغزنوية أوج عظمتها فى عهد السلطان محمود بن سبكتكين (٣٨٨/ ٤٢١هـ) الذى أعلن استقلاله عن السامانيين، وقام بالعديد من الفتوحات فى الهند، ويعتبر المؤسس الحقيقى للدولة الغزنوية . د/ مصطفى رمضان ــ العالم الإسلامى فى العصر العباسى ــ صـ ٣٠٦ .

(٢) كارل بروكلمان ــ تاريخ الشعوب الإسلامية ــ صـ ٢٦٧ ( دار العلم للملايين ــ بيروت سنة ١٩٧٧م ) .

(٣) كان فائق قد توجه إلى بلخ وسيطر عليها بعد سيطرة هارون بوغراخان على بخارى سنة ٣٨٣هـ، ولكن بعد عودة نوح الثانى إلى بخارى غادر فائق بلخ خوفا من نوح الثانى وتوجه إلى إيلك خان الذى تولى بعد أبيه هارون فأحسن استقباله ، وأكرمه ، وأرسل إلى نوح الثانى يستشفع له، وطلب منه أن يوليه سمرقند، فأجابه إلى ذلك وأقام فائق بها . ابن الأثير ــ الكامل ــ جـ ٩ صـ ١٠٨ .

والمواثيق ، فعاد منصور إليها ، وأصبح فائق قائد جيشه، والمتصرف فى أمور دولته[١].

وهذا ما كان يهدف إليه فائق ورأى أنه لن يتحقق مع إيلك خان لقوته وشدة بأسه، بعكس الحال مع الأمير منصور الذى ما زال فى مطلع الشباب ، ويسهل السيطرة عليه، إلا أن هذا الحال لم يدم أكثر من عام وعدة شهور، ثم انقلب فائق على الأمير منصور حينما وجده يميل إلى السلطان محمود الغزنوى ويخطب وده، بينما كان هناك عداوة بين فائق والسلطان محمود الغزنوى، حيث انتصر السلطان عليه حينما كان يحكم بلخ فى خراسان ،وانضم إلى القائد السامانى أبى على سيمجور لمحاربة السلطان محمود فى رمضان سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م، ولكنه انتصر عليهم ،وطردهم من خراسان[٢].

فتآمر فائق مع أحد القادة السامانيين ويسمى بكتوزون وكان حاكما لنيسابور[٣] على التخلص من الأمير منصور وتولية أخاه الأصغر عبدالملك وكان غلاما حدثا يسهل السيطرة عليه، ودبرا مؤامرة عزله

---

(١) ابن الأثير ــ الكامل ــ صـ ١٢٩ .

(٢) الذهبى ــ تاريخ الإسلام ــ حـ ١٠ صـ ٣٩٣

(٣) نيسابور من المدن الهامة فى خراسان ، تقع جنوب مدينة مرو، وشمال غرب مدينة هراة، قال عنها ياقوت "لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها" معجم البلدان جـ٥ صـ ٣٣١ .

فى صفر سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٩م وسملا عينيه ،وحملاه إلى بخارى، ثم أجلسا الأمير عبد الملك على العرش[١].

وقد هب لنجدة الأمير المخلوع كل من السلطان محمود الغزنوى ، وإيلك خان القراخانى ، وخاصة أن الأخير يريد أيضا الانتقام من فائق لسابق خيانته له وانضمامه إلى السامانيين بعد إظهار ولائه له ، فأرسل السلطان محمود جيشا إلى خراسان،فاستعد للقائه الأمير عبدالملك بن نوح وفائق وبكتوزون ، وجهزوا جيوشهم ، وأثناء ذلك توفى فائق فضعفت نفوسهم، ووهنت قوتهم، حيث كان هو صاحب الرأى والمشورة، وعادوا إلى بخارى ، وسيطر السلطان محمود على خراسان[٢].

وفى هذه الأثناء وصل إيلك خان بجيوشه إلى بخارى، وتظاهر بالطاعة والمودة للأمير عبد الملك بن نوح وتقديم العون له ، فظنوه صادقا، وخرج القائد بكتوزون ومعه عدد من القادة والأمراء للقائه، فأمر بالقبض عليهم جميعا، ثم توجه بجيشه إلى بخارى فدخلها فى ذى القعدة سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٩م ، وفر الأمير عبد الملك بن نوح هاربا بعد أن رأى قلة عدد جنده ، ولكن إيلك خان أرسل خلفه من يلاحقه حتى قبض عليه مع جميع أخوته وأقاربه ، وأمر بسجنهم فى مدينة

---

(١) البيهقى ــ تاريخ البيهقى صـ٧٠٨، د/ حسن إبراهيم حسن ــ تاريخ الإسلام السياسى ــ جـ٣ صـ٨١ .

(٢) ابن الأثير ــ الكامل ــ جـ٩ صـ١٤٩ ، كارل بروكلمان ــ تاريخ الشعوب الإسلامية صـ٢٦٧ .

أوزكند[١]، وانتهت بذلك الدولة السامانية فى بلاد ما وراء النهر لتحل محلها الدولة القراخانية[٢].

وبذلك يعتبر عام ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م[٣] هو البداية الحقيقية للدولة القرخانية كدولة إسلامية مستقلة تقوم بدورها كاملا فى حماية الثغور الإسلامية الشرقية، وتقف حاجزا أمام هجمات القبائل التركية الوثنية، ولا تخضع لسيادة دولة أخرى، ولكنهم جعلوا لحكمهم طابعا شرعيا بإعلان تبعيتهم للخلافة العباسية، والبيعة للخليفة القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢هـ / ٩٩١ - ١٠٣١م) وأمر إيلك خان بالخطبة له فى جميع بلاده ، إلا أنها كانت تبعية اسمية، فلم يكن للخلافة أى تدخل رسمى فى سياستهم ، ولم يرسلوا الأموال للخلافة بصورة منتظمة ، وربما أرسلوا بعض الأموال أحيانا فى صورة هدايا ، أو لمواجهة صعوبات طلب الخليفة مساعدتهم فيها[٤].

---

(١) تقع مدينة أوزكند فى أقصى إقليم فرغانة شرق نهر سيحون (سرداريا) ولها نهران يمران بضواحيها واسمها عند ياقوت يوزكند . معجم البلدان جـ٥ صـ٤٥٣ .

(٢) ابن خلدون ـ العبر ـ جـ٤ صـ٣٩٠ ، د/ أحمد مختار العبادى ـ فى التاريخ العباسى والفاطمى ـ صـ ١٥٥ .

(٣) يذكر الدكتور حسين مؤنس أن الدولة القراخانية تأسست فى بلاد ما وراء النهر سنة ٣١٥هـ ـ أطلس تاريخ الإسلام ـ صـ٢٣٢.وهذا بعيد عن الصواب لعدم وجود مصدر يؤيده ، فالثابت فى كل المصادر أنهم سيطروا على بلاد ما وراء النهر سنة٣٨٩هـ، وربما كان التاريخ الذى ذكره هو بداية دخولهم فى الإسلام .

(٤) ابن الأثير ـ الكامل ـ جـ ٩ صـ١٦٥ .

**محاولة السامانيين إحياء دولتهم فى بلاد ما وراء النهر مرة أخرى**

بعد أن رتب أبو نصر إيلك خان أمور بلاد ما وراء النهر وعين الولاة من قبله فى بخارى وسمرقند وغيرهما من البلاد، عاد إلى مدينة أوزكند وجعلها قاعدة لحكمه ، لوقوعها على الحدود بين بلاده الأصلية فى تركستان وبلاد ما وراء النهر مما يجعلها أقل خطرا من عواصم بلاد ما وراء النهر مثل بخارى وسمرقند ، ويستطيعون منها مواجهة أى تمرد أو ثورات تقوم ببلاد ما وراء النهر، حيث أن معظم سكانها مازال ولاؤه للسامانيين[١].

ولم يكد إيلك خان يستقر فى أوز كند حتى استطاع أحد الأمراء السامانيين الهروب من سجن إيلك خان وهو إسماعيل بن نوح السامانى[٢]، وكان مسجونا مع أخيه الأمير عبد الملك بن نوح آخر أمراء الدولة السامانية، وتلقب بالمنتصر، وفر إلى خوارزم[٣]، واجتمع إليه بقايا القواد السامانيين ، والجند الذين ما زال ولاؤهم للسامانيين، فأرسل فرقة منهم مع أحد قادته ويسمى حاجب أرسلان بال إلى بخارى فاجأت الحامية القراخانية بها ، وأوقعت بها الهزيمة، وفر من

---

(١) بارتولد ــ تاريخ الترك ــ صـ ١٠١ .

(٢) تمكن إسماعيل بن نوح من الهروب عندما لبس ملابس جارية كانت تأتيه لتخدمه ، فظنه الموكلون بالحراسة الجارية، واستخفى عند عجوز حتى سكن عنه الطلب، فسار متخفيا حتى وصل إلى خوارزم . ابن الأثير ــ جـ ٩ صـ ١٥٦ .

(٣) خوارزم إقليم يقع على جانبى نهر جيحون يحده من الشمال والشرق تركستان ،ومن الجنوب خراسان ،ومن الغرب بحر الخزر (قزوين) وأهم مدنه كاث وكر كانج وخيوه . محمود شيت خطاب ــ بلاد ما وراء النهر ــ صـ ٢٥ (دار قتيبة ١٩٩٠م).

نجا منهم إلى سمرقند، وهناك انضمت إليهم حامية سمرقند، وعادوا مرة أخرى إلى بخارى لمحاربة جيش المنتصر السامانى ، وعند أسوار بخارى حلت الهزيمة للمرة الثانية بالجيش القراخانى ، وقتل منهم عدد كبير ، وفر الباقون ،بينما عاد المنتصر وقواته إلى بخارى فأقاموا بها[١].

وعندما وصلت أنباء الهزيمة إلى إيلك خان جهز جيشا كبيرا وتوجه إلى بخارى فلما علم المنتصر بقرب قدومه ، رأى عدم قدرته على مقاومته ، فترك بخارى، وعبر نهر جيحون إلى خراسان ، وسيطر على نيسابور ــ وكانت تابعة لحكم السلطان محمود الغزنوى ــ فطرد حاكمها منها سنة ٣٩١هـ / ١٠٠١م" .

ونلاحظ هنا أن الأمير المنتصر السامانى حاول استثارة حماس الشعب فى بخارى وخراسان لمساندته ضد القراخانيين ، وذلك بالاستعانة بكبار الفقهاء والعلماء، إلا أن محاولته ذهبت أدراج الرياح ، ولم يستجب الشعب لها ، وكان ردهم : "أنه إذا كان خصام القراخانيين مع السامانيين من أجل الدين يصبح لزاما علينا أن نحاربهم ، ولكن إذا كان النضال من أجل مصلحة هذا الأمير فلا يحق للمسلمين التضحية بأنفسهم ، وتعريضها للهلاك ، إن أسلوب حياة هؤلاء الناس (أى القراخانيين) غير مخالف للدين ، وإيمانهم لا غبار عليه، ولا عيب فيه ولذا من الأفضل الامتناع عن التدخل فى النزاع" .

---

(١) ابن الأثير ــ الكامل ــ جـ ٩ صـ١٥٦ .

كما أن بعض العلماء المسلمين وقفوا أمام فقهاء السامانيين ، وأعلنوا أمام الناس أن الحرب لا تكون فرضا إلا إذا أراد الكفار الاستيلاء على بلد إسلامى ، وأن من العبث الظن بأن أحوال الأهالى ستكون تحت حكم القراخانيين ــ وهم مسلمون ــ أسوأ منها تحت حكم السامانيين ، ولذلك فلا داعى لأن يريق المسلمون دماءهم[١].

وبذلك فقد المنتصر ولاء الأهالى لحكمه ، وهو ما كان يتمتع به من سبقوه ، ولكن الفترة من الأخيرة من الحكم السامانى سادته الاضطرابات والمنازعات على الحكم بين الأمراء والقادة ،وهو ما أفقد الشعب اهتمامه به، بل ورغبته فى التغيير فلن يكون أسوأ حالا مما كانوا عليه .

وقد مكث المنتصر عامين فى خراسان ( ٣٩١هـ ــ ٣٩٣هـ) قضاهما فى محاربة جيوش السلطان محمود الغزنوى حتى انهزم فى آخر الأمر ، واضطرب للهرب مرة أخرى إلى بلاد ما وراء النهر، فتقابل بها مع بعض طوائف التركمان والأتراك الغز فتحالف معهم ، وحشد جيشا كبيرا منهم التقى به مع إيلك خان بنواحى سمرقند، وانتصر عليه فى شوال سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م وأسر جماعة من قواده ، ولكن الأتراك الغز أطلقوا سراحهم تقربا لإيلك خان، لإدراكهم

---

(١) ابن الأثير ــ الكامل ــ جـ ٩ صـ ١٥٨ .

أنه أكثر استقرارا فى حكمه من المنتصر السامانى ، وربما احتـــاجوا إلى مساعدته بعد ذلك ، أو طلبوا منه الإقامة فى بلاده [١].

ثم توجه المنتصر بعد ذلك إلى بخـــارى، فخـــرج إليـــه الوالـــى القراخانى، وحاربه وانتصر عليه، ورده عن بخارى، فتوجه المنتصـــر إلى دبوسية[٢]، حيث أعاد تنظيم قواته بها ، وجهزهم ، ثم توجه إلـــى بخارى مرة أخرى، فانتصر على واليها القراخانى وسيطر عليها ، ثـــم انضم إليه عدد كبير من أهل سمرقند، وأمدوه بالآلات والمال والدواب وغير ذلك من عتاد الحرب[٣].

فلما علم إيلك خان بما صار إليه حال المنتصر السامانى ، وكـــثرة أتباعه ، جهز جيشه وسار إليه ، فالتقى الطرفان قرب قرية بور غازى بنواحى سمرقند فى شعبان سنة ٣٩٤هـــ / ١٠٠٤م وانجلت المعركـــة عن هزيمة إيلك خان، وقتل كثير من جنده ، وغنم السامانيون أموالـــه

---

(١) بارتولد ــ تاريخ الترك ــ صـــ١٠٠ ، د/ أحمد محمـــد عـــدوان ــ تـــاريخ دويلات المشرق الإسلامى صـــ١٠٥ .

(٢) دبوسيه : بلدة صغيرة من أعمال إقليم الصغد شمال نهر جيحون ــ البيـــهقى ــ تاريخ البيهقى ــ هامش صـــ ٣٥٠ .

(٣) لعل انضمام أهل سمرقند إلى المنتصر السامانى يرجع إلـــى معاناتـــهم مـــن الولاة الأتراك القراخانيين الذين يتصفون بالغلظة والجفـــاء ، ويغلـــب عليـــهم الطابع البدوى على خلاف العنصر الفارسى السامانى الذى كان أكثر تحضـــرا وكياسة فى معاملة الرعية أكثر من الأتراك .

ودوابه، وتراجع إيلك خان إلى أوزكند عاصمته ليعيد تجهيز جيشه، وحشد أعداد أخرى من الأتراك ، وعاد للقاء المنتصر مرة أخرى.

ودارت المعركة فى المنطقة الواقعة بين جيزاك وخواست ــ شمال نهر جيحون ــ وانهزم المنتصر، وقتل كثير ممن كان معه، وساعد فى هزيمته تخلى عدد كبير من الأتراك الغز الذين كانوا معه، وانضمام بعضهم إلى إيلك خان، وعودة البعض الآخر إلى المناطق التى كانوا يعيشون فيها قبل انضمامهم إلى المنتصر، وبصعوبة بالغة تمكن المنتصر من الفرار مع ثمانية من أصحابه ، وحاول الاختفاء عند بعض البدو الرحل ، الذين أمهلوه حتى أظلم الليل ، وعندما عرفوا أمره، وأنه مطارد من قبل السلطان محمود الغزنوى وإيلك خان وثبوا عليه ، وقتلوه فى مطلع عام ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م وانتهى بذلك آخر أمل للسامانيين فى إحياء حكمهم مرة أخرى[١].

---

(١) ابن الأثير ــ الكامل ــ جـ ٩ صـ ١٥٩ .

## العلاقة بين القراخانيين والدولة الغزنوية :

عندما كان القراخانيون يسعون للقضاء على بقايا جيوش السامانيين بقيادة المنتصر السامانى ، كان السلطان محمود الغزنوى قد أنهى أمر السامانيين فى خراسان ، وضم جميع ممتلكاتهم بها إلى حكومته فى غزنة .

وأصبح بذلك الصراع بين القوتين الفتيتين أمرا لا مفر منه، فكلا منهما يرى بأنه الأحق بوراثة أملاك السامانيين ، فالسلطان محمود يرى أنه وأباه ما هم إلا غلمان الأمراء السامانيين ، وهم الأحق فى وراثة ممتلكاتهم من بعدهم، أما القراخانيون فكانوا يرون أنهم أصحاب الغلبة والقهر والفتح لمدن السامانيين وعاصمتهم بخارى ، وهم الذين قوضوا سيادتهم فى معقل إدارتهم ،فهم الأحق بامتلاك جميع ما خلفوه.

وكان السلطان محمود الغزنوى أكثر قوة من القراخانيين ، وأكثر استقرارا منهم ، ولكنه ــ ولحسن حظ القراخانيين ــ كان جل همه ، ونشاطاته العسكرية مركزا على فتوحاته وغزواته لبلاد الهند والسند، لهذا مد يده بالصلح والسلام إلى جيرانه القراخانيين ليطمئن على حدوده من الشرق والشمال الشرقى ، ويتفرغ لفتوحاته فى بلاد الهند، وأصبح نهر جيحون حدا فاصلا بينهم .

وزيادة فى توطيد العلاقة بينهما تزوج السلطان محمود من بنت إيلك خان أبو نصر أحمد ليكون بين الأسرتين مصاهرة تدعم السلام بين الدولتين[١].

إلا أن العلاقة بين الدولتين ساءت وخاصة بين السلطان محمود الغزنوى وإيلك خان ناصر على حاكم إقليم ما وراء النهر وشقيق الخان الأعلى بسبب إيواء ناصر على بعض القادة المتمردين على السلطان محمود الغزنوى، كما كان إيلك خان يرغب فى توسيع أملاكه فى خراسان على حساب الغزنويين ، وقد انتهز إيلك خان ناصر على فرصة توجه السلطان محمود بجيشه إلى الهند سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٦م وأعد جيشين: الأول بقيادة أخيه جعفر تكين ، وأمره بالتوجه إلى بلخ، والثانى بقيادة ابن عمه سباشى تكين وأمره بالتوجه إلى هراة، وقد تمكن الجيشان من السيطرة على المدينتين لضعف الحاميات العسكرية الغزنوية بها، كما أرسل سباشى تكين فرقة من جيشه استولت على نيسابور[٢].

فلما سمع السلطان محمود الغزنوى بذلك سارع بالعودة من الهند إلى غزنة ، ثم توجه إلى خراسان ، وعندما اقترب من بلخ تركها جعفر تكين وتوجه إلى ترمذ ومنها إلى سمرقند، فسار السلطان بجيشه إلى سباشى تكين فى هراة ، فلما علم باقتراب السلطان توجه إلى مرو،

---

(١) ابن الأثير ــ الكامل ــ جـ ٩ صـ ١٨٨ .
(٢) البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـ ٥٢٧ .

ثم إلى أبيورد والسلطان فى أثره ، ثم توجه إلى جرجان ، وعاد إلى خراسان مرة أخرى بعد أن علم بمطاردة السلطان له بقواته .

وقد حاول إيلك خان صرف السلطان محمود عن تعقب سباشى تكين ، فأرسل جيشا من أربعين ألف مقاتل إلى بلخ مرة أخرى بقيادة جعفر تكين ليتوجه السلطان لمحاربته، ويتوقف عن مطاردة سباشى تكين، ولكن السلطان لم يلتفت إليه، وجعل دأبه إخراج سباشى تكين من خراسان، والتقى معه فى معركة فاصلة بالقرب من نهر جيحون وانتصر السلطان محمود، وأسر عدد كبير من قادته، ونجا سباشى تكين فى عدد قليل من أصحابه عبر بهم نهر جيحون .

ثم عاد السلطان محمود إلى بلخ لمحاربة جعفر تكين ، وتمكن من هزيمته ، وإخراجه من خراسان[١] .

---

(١) كان أهل بلخ قد قاوموا جيش جعفر تكين قبل وصول السلطان محمود ، فقتل منهم عددا كبيرا ، وأشعل النار فى أشهر أسواقهم ويسمى بازار عاشقان فلما وصل السلطان محمود، وعلم بما حدث لامهم على موقفهم،وقال لهم: "ما شأن الرعية بالقتال؟ لا جرم قد هلكت مدينتكم، وأحرق من أملاكى بلد يغل على أموالا طائلة، وإنى أحملكم غرامة هذه الخسارة، ولكى أعفو عنكم فانظروا واحذروا أن يتكرر هذا، فإن كل ملك يتسلط عليكم ويلزمكم بالخراج، ويؤمنكم عليكم أن تدفعوا له الخراج ، وتحافظوا على أنفسكم، ولماذا لم تقلدوا أهل نيسابور والبلدان الأخرى فقد أذعنوا بالطاعة، وكان صوابا ما فعلوا حتى لا تنهب بلادهم ، ولماذا لم تلتفتوا إلى ما جرى فى البلاد الأخرى التى لم يطلب منها شئ غير الخراج فقد احتسب كل ما أخذ العدو منهم من خراجنا" فقال أهل بلخ: لقد تبنا ولن نخطئ مرة أخرى .

البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـ ٦٠١ .

ونلاحظ هنا حرص الحكام على عدم اشتراك أهالى البلاد فى الحرب حتى لا يتمرسوا على ذلك وربما قاموا بثورات ضد الدولة إذا ما لحق بهم ظلم =

ولم تفت هذه الهزائم فى عضد ناصر على إيلك خان الذى يصر على امتلاك خراسان بأى وسيلة، لذلك راسل أخاه يوسف قدرخان حاكم الختن ، واستعان به وبجنده وطلب منه النصرة ضد السلطان محمود، فاستجاب له، وتوجها بجيوشهما إلى خراسان سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٨م .

وبلغ الخبر السلطان محمود فأسرع بقواته إلى بلخ ــ بعد أن علم أنها مقصدهم ــ فسبقهم إليها ، وعسكر بقواته فى مكان فسيح يصلح للحرب بالقرب منها ، ونزل إيلك خان وأخوه قدرخان بإزائه، وبعد يومين من القتال انتصر الغزنويون ، وأبادوا كثيرا من القوات القراخانية ، عدا الأسرى، وفر الإيلك وأخوه ومن بقى معهما من القوات إلى بلاد ما وراء النهر مرة أخرى[١] .

وقد حاول الإيلك ناصر على الاستعانة بأخيه الخان الأعظم أبونصر أحمد لغزو خراسان ، إلا أنه رفض طلبه لصلته الطيبة بالسلطان محمود وما بينهما من عهود ومصاهرة ، بل وأرسل إلى السلطان محمود يعتذر له ، وينتصل من قصد أخيه بلاد خراسان، ويقول: إننى ما رضيت ذلك منه ، ويلزم أخاه وحده الذنب ، وتبرأ منه

فلما علم بذلك الإيلك ناصر على ساءه موقف أخيه ، وعزم على محاربته، وأرسل جيشه إليه سنة ٤٠١هـ / ١٠١١م، إلا أن الجيش اضطر للتراجع بعد أن بلغ يوزكند بسبب الظروف المناخية السيئة فى

---

=كما يشهد السلطان محمود بعدم تعرض القراخانيين لأهل البلاد إذا ما التزموا بالطاعة ودفع الخراج ، وهذه كانت سمة حكمهم.

(١) ابن خلدون ــ العبر جـ ٤ صـ ٣٦٨ .

فصل الشتاء ، وكثرة الثلوج ، فأعاد ناصر على تجهيز جيشه وأرسله لمحاربة أخيه مرة أخرى[١].

وقد توسط بينهما الأمير أبو العباس خوارزمشاه أمير خوارزم[٢]، وتصالحا قبل حدوث حرب بينهما، وقد أساء السلطان محمود الظن بهما عندما علم بما حدث ، إذ توقع تحالفهما ضده ، ومساعدة خوارزمشاه فى إعلان عصيانه له، وبعث برسله معاتبا لهما ، ولكن الخان الأعظم رد عليه بقوله : "بأنا كنا نعرف أن خوارزمشاه صديق السلطان وصهره ، ونعرف أن السلطان كان راضيا عنه إلى حد أنه حين أرسل إلينا رسله ، وأبرم العهد معنا ، طلب من خوارزمشاه أن يعين رسولا من قبله ليشهد ما يكون بيننا وبين رسله ، وإذا كان السلطان غاضبا عليه اليوم فالواجب ألا يعتب علينا ، والخير أن نتوسط حتى تعود الألفة بينكما إلى ما كانت عليه"[٣].

وحاول خوارزمشاه استغلال هذا الخلاف لصالحه بأن عرض على الخان الأعظم وايلك خان إرسال جيوشهما معا إلى خراسان لمحاربة السلطان محمود ، والسيطرة على خراسان ، ولكن الخان

---

(١) ابن الأثير ــ الكامل ــ جـ ٩ صـ ١٩١ .

(٢) كان الأمير أبو العباس المأمون حاكما لبلاد خوارزم وكان مواليا للسلطان محمود الغزنوى وبينها مصاهرة وعهود ، ثم ساءت العلاقة بينها عندما طلب السلطان محمود منه أن يجعل الخطبة فى خوارزم للسلطان محمود ، ويصبح تابعا له ، فرفض أبو العباس، وأراد أن يتحالف مع حكام الدولة القراخانية ليساعدوه ضد السلطان محمود إذا ما أعلن الحرب عليه ، ولذلك توسط بينهما ليحملا له هذا الجميل ، ويضع بذور الشك بينها وبين السلطان محمود . البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـ ٧٣٩ .

(٣) البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـ ٧٤٠ .

والإيلك بعد تدبر الأمر لم يجدا من الصواب اتباع هذه السياسة ، وأدركا أن خوارزمشاه يرمى من هذا العرض إلى أن يبقى هو وبلاده فى أمان ، بينما يقع الخلاف بينهما وبين السلطان محمود، لذلك قررا الحفاظ على عهودهما مع السلطان محمود ، وعرضا على خوارزمشاه التوسط للصلح بينهما وبين السلطان محمود، وأرسلا رسلا إلى السلطان محمود بهذا الأمر ، فهدأت نفسه ، وزال ما كان بها من قلق وشكوك تجاه القراخانيين(١).

## أحوال القراخانيين السياسية:

بعد أن نجح أبو نصر أحمد إيلك خان فى القضاء على حركة المنتصر السامانية استقرت الدولة القراخانية فى تركستان وما وراء النهر، وقام إيلك خان بتولية إخوته وأقاربه على أقاليم الدولة ، وأصبح هو الخاقان الكبير أو الخان الأعظم .

وقد تمرد عليه أخوه ناصر على الذى كان واليا على بلاد ما وراء النهر،وحاول الاستقلال بها،وتوسيع دولته بضم خراسان من الغزنويين فى ربيع الثانى سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٨م ـ كما ذكرنا ـ ،وبعد وفاة ناصر على سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م انتقلت السلطة فى بلاد ما وراء النهر إلى الخان الأعظم الذى أشرف على حكمها مباشرة ولم يعين عليها وال آخر(٢).

---

(١) البيهقى ـ تاريخ البيهقى ـ صـ ٧٤١ .
(٢) البيهقى ـ تاريخه ـ صـ٦٠١ ، أحمدوف ، منوروف ـ العرب والإسلام فى أوزبكستان ـ صـ ١١٤ .

وحرص الخان الأعظم على توطيد علاقته بالسلطان محمود لإزالة الجفوة التى حدثت فى العلاقات بين البلدين فى الفترة الماضية، ولذلك أرسل إلى السلطان محمود يقول له : "المصلحة للإسلام والمسلمين أن تشتغل أنت بغزو الهند ، وأشتغل أنا بغزو الترك ، وأن يترك بعضنا بعضا" فوافق ذلك هوى السلطان محمود ، وأجابه إليه ، وزال ما بينهما من جفاء[١].

وفى أواخر أيام حكم الخان سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م تعرضت الجهات الشرقية للدولة القراخانية فى تركستان لهجوم كبير من جانب القبائل التركية الوثنية، وشاركت فيه بعض القبائل المغولية التى هاجرت من منغوليا إلى شرق تركستان[٢].

وذكر ابن الأثير أن عددهم يزيد على ثلاثمائة ألف[٣] .

وسبب خروجهم وهجومهم على تركستان أنهم علموا بمرض إيلك خان (أبو نصر أحمد طغان خان) وطول فترة مرضه ، فطمعوا فى السيطرة على تركستان ، ونهب وسلب بلادها ، وتمكنوا من السيطرة على بعض البلاد ، حتى اقتربوا من بلا ساغون ، فلما بلغ الخبر إيلك خان سأل الله تعالى أن يعافيه لينتقم منهم ، ويحمى البلاد من خطرهم ، ثم يفعل به بعد ذلك ما أراد ، فاستجاب الله له وشفاه ، فجهز جيشه،

---

(١) ابن الأثير ــ جـ ٩ ــ صـ ٢٤٠ .

(٢) تعرف هذه القبائل بقبائل النايمان ومعناها فى اللغة المغولية ثمانية لأنهم كانوا منقسمين إلى ثمانى قبائل . بارتولد ــ تاريخ الترك ــ صـ ٦٣٩ .

(٣) نرى أن هذا العدد فيه مبالغة إلى حد ما ، وربما شمل هذا العدد النساء والأطفال الذين كانوا مع الرجال المحاربين حتى يستقروا معهم فى البلاد التى يسيطرون عليها .

وكتب إلى الأقاليم المختلفة يستنصر الناس، فاجتمع إليه عدد كبير من المتطوعة، فلما بلغ القبائل المهاجمة ما فعله إيلك خان وتجهيزه جيشه، قرروا العودة إلى بلادهم مرة أخرى ، ولكن إيلك خان طاردهم حتى أوقع بهم على أطراف دولته ، وقتل وأسر منهم عدد كبير، وغنم منهم غنائم كثيرة ، ثم عاد إلى بلا ساغون فمات بها بعد فترة قصيرة سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٨م[١] .

وقد تولى الحكم بعده أخوه أبو المظفر أرسلان خان ، ولقبه شرف الدولة ، وحدث خلاف بينه وبين أخيه قدرخان يوسف ، وكان نائبا عنه فى بلاد ما وراء النهر، ولكنه كان يطمح إلى أن يكون خاقانا أعلى للدولة القراخانية ، ولذلك حاول الاتصال بالسلطان محمود الغزنوى ، والتحالف معه ضد أخيه أرسلان خان ، ولكن السلطان محمود الغزنوى رفض أن يزج بنفسه وبجيشه فى الصراع بين الأخوين، ثم تصالح الأخوان، وتوفى أرسلان خان سنة ٤١٤هـ / ١٠٢٤م[٢].

وتولى الحكم بعده أخيه قدرخان يوسف الذى واجه عقبات كثيرة فى بداية حكمه أخطرها ثورة أخيه على تكين[٣] فى إقليم ما وراء النهر الذى تولى حكمه بعد أن أصبح أخوه قدرخان خاقانا أعلى، وتدهورت

---

(١) ابن الأثير ــ الكامل ــ جـ ٩ صـ ٢٩٧ .

(٢) ابن خلدون ــ العبر ــ جـ٤ صـ٣٩٢ ، أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان صـ ١١٥ .

(٣) كان على تكين يتولى حكم بعض المدن الصغيرة فى تركستان منذ سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٢م ثم انتقل إلى حكم بلاد ما وراء النهر ليزداد نفوذه ، ويطمع فى توسيع سلطانه . البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـ٣٥٧ .

العلاقة بينهما ، مما دعا الخاقان قدرخان إلى التحالف مع الغزنويين ضد أخيه ، وأرسل إلى السلطان محمود الغزنوى رسالة يحرضه فيها على غزو أراضى على تكين جاء فيها : "إذا انتصر إيلك خان (يقصد على تكين) فبإمكانه بعد السيطرة على الدولة التورانية (القراخانية) أن يتجه إلى خراسان فى الوقت الحاضر، وإذا وافقنا السلطان ، وسار بجيشه إلى سمرقند، فإننا سنقوم بدورنا بمحاربة إيلك خان"(١).

ونلاحظ من مضمون الرسالة تخوف الخاقان الأعظم من على تكين الذى يزداد بأسا وقوة، وطموحا إلى إخضاع كافة أملاك الدولة القراخانية لسلطانه ، كما أراد أن يشرك معه السلطان محمود فى هذه التخوفات بتذكيره أن طموحات على تكين لن تتوقف على أملاك القراخانيين،وإنما سيسعى للسيطرة على أملاك الغزنويين فى خراسان، ولذلك اتفق الطرفان ــ السلطان محمود وقدرخان ــ على إضعاف على تكين والحد من نفوذه ، بل والقضاء عليه إذا أمكن لهم ذلك ، وقررا سلب أملاك على تكين فى بلاد ما وراء النهر ، وتعيين ياغان تكين ابن يوسف قدرخان حاكما عليها .

ولكن على تكين لم يمنحهما الفرصة للقضاء عليه وعلى جيشه، فتراجع منسحبا من بخارى وسمرقند إلى السهوب الواقعة على أطراف

---

(١) أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان ــ صـ ١١٥ .

بلاد ما وراء النهر، ولم يقم الحليفان بمطاردته ، وقاما بتعيين ياغـــان تكين حاكما على بخارى وسمرقند ، بموجب ما كان متفقا عليه[١] .

وما أن عاد السلطان محمود إلى بلاده ، والخاقان الأعلـــى إلـــى تركستان ، حتى نجح على تكين فى استعادة معظم أملاكه فى بلاد مـــا وراء النهر، ولم يتبق لياغان تكين سوى بعض المدن الصغـــيرة فـــى شرق البلاد، وقد عمل على تكين على استتباب الأمن مرة أخرى فـــى الإقليم ، ولكنه حرص بعد ذلك على توطيد علاقته بالخاقان الأعلـــى، والاعتراف بسلطانه ، ولو اسميا ، بعد أن أدرك أنـــه لـــن يســـتطيع القضاء عليه ، والوصول إلى منصب الخاقان الأعلى[٢] .

وقد ارتضى قدرخان منه هذا القدر من الطاعـــة ، ولـــم يعـــاود محاربته لانشغاله بالجهاد فى الجبهة الشرقية للتركستان التى يقطنـــها الأتراك الوثنيون ، ومن على شاكلتهم من القبـــائل الأخـــرى، وأهـــم الفتوحات التى قام بها فتح مدينة ختن[٣] سـنة ٤١٧هـ / ١٠٢٦م ، وكانت معقلا للبوذية حينذاك ، كما كان بها بعض النصارى[٤] .

---

(١) البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـ ٩٣ .

(٢) أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان ــ صـ ١١٥ .

(٣) ختن تقع فى وسط تركستان بين كاشغر ويوزكند . ياقوت ــ معجم البلـــدان جـ٢ صـ٣٤٧ .

(٤) يذكر بارتولد أنه كان بهذه المدينة بعض المسلمين أيضا قبل الفتح القراخـانى لها لوجود مقابر لهم فيها ، ولعلهم من التجار الرحالة الذيـــن كـــانوا ينقلـــون التجارة بين بلاد الإسلام والصين ــ تاريخ الترك صـ١٠٥ .

وقد وصلت حدود الدولة القراخانية بسبب فتوحات قدرخان فى الشرق إلى مصب نهر تاريم[١] فى بلاد الأويغور، وأصبحت هى حدود العالم الإسلامى فى القرن الحادى عشر م .

ويبدو أن حكام الأتراك والأويغور الوثنيين لم يستطيعوا الصمود أمام قدرخان فحاولوا الضغط عليه من الجبهة الغربية بالإتصال بالسلطان محمود الغزنوى ، وإرسال السفراء إليه للتحالف معه لمهاجمة قدرخان ، وطلبوا مصاهرته توثيقا للتحالف بينهم ، إلا أن السلطان محمود رفض عرضهم ، وأجابهم بقوله : " إن المسلمين لا يزوجون بناتهم للمشركين ، فإذا أسلموا قبلنا رغبتهم"[٢] .

وكانت العلاقة بين قدرخان والسلطان محمود طيبة، وزار السلطان محمود قدرخان فى سمرقند، وعقدت بينهم العهود والمواثيق على عدم تعدى أحد الطرفين على بلاد الآخر ، كما ساعد السلطان محمود قدرخان فى القضاء على بعض الفتن والقلاقل والثورات التى قامت ضده فى الدولة القراخانية من جانب إخوته وأقاربه الطامعين فى الحكم حتى ثبتت أقدامه ، واستتبت له أمور الحكم فى الدولة القراخانية[٣].

---

(١) توجد خريطة فى نهاية البحث توضح مكان هذا النهر وأهم البلاد التى تناولتها فى البحث.

(٢) بارتولد ــ تاريخ الترك ــ صـ ١٠٥ .

(٣) البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـ ٩٣ .

كما عقد السلطان محمود صلحا مع على تكين تضمن قبوله دفع جزية سنوية وألف من غلمانه للسلطان محمود ، بعد أن رأى على تكين عدم قدرته على مواجهة جيوش السلطان محمود الغزنوى[١].

وبعد وفاة السلطان محمود سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م وتولى ابنه مسعود الحكم سار على سياسة أبيه فى مسالمة الدولة القراخانية وتوطيد علاقته بقدرخان ، بل وطلب مصاهرته بزواج ابنته ، كما يتزوج ولى عهده مودود بابنة بغراتكين ولى عهد قدرخان ، وقد استجاب قدرخان لطلب السلطان مسعود ، وأرسل شاه خاتون بنته عروسا للسلطان، وإحدى بنات بغراتكين ولى عهده عروسا للأمير مودود ولكنها توفت فى الطريق قبل الوصول إلى غزنة، بينما وصلت شاه خاتون إلى السلطان مسعود فاحتفى بها احتفاءا كبيرا ، وزين لاستقبالها مدينة غزنة عدة أيام، وعاد من معها من الرسل مكرمين إلى تركستان[٢] .

وعلى نقيض ذلك كانت العلاقة بين السلطان مسعود وعلى تكين الحاكم القراخانى على بلاد ما وراء النهر ، وشقيق الخان الأعظم قدرخان، فقد كانت العلاقة بينهما سيئة ــ كما كانت فى عصر السلطان محمود ــ ووصلت إلى قيام الحرب بين جيوشهما ، ويرجع ذلك إلى أن السلطان مسعود قد طلب مساعدته أثناء صراعه على الحكم مع

---

(١) د/ محمد حسن العمادى ــ خراسان فى العصر الغزنوى ــ صـ ١٠٦ (الأردن سنة ١٩٩٧م) .

(٢) البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـ ٤٧١ .

أخيه محمد مقابل إعطائه إقليم ختلان[١] يضمه إلى حكمه فى بلاد ما وراء النهر، فلما استقامت الأمور للسلطان مسعود بغير حرب ، واستقر له الحكم بغير مساعدة على تكين قرر الأخير أن يبادر بالحرب ليحصل على ما كان سيحصل عليه إذا ساعد السلطان فى الحرب .

وفى جمادى الأولى سنة ٤٢٣هـ دارت الحرب بين الجيشين بالقرب من قرية دبوسية ـ شمال نهر جيحون ـ وكان الجيش الغزنوى بقيادة التونتاش ـ حاكم خوارزم ـ وبعد يومين من القتال لم يتمكن أحد الطرفين من تحقيق نصر حاسم على الآخر ، بينما قتل عدد كبير من الطرفين ، وجرح التونتاش قائد الجيش الغزنوى جرحا شديدا توفى على أثرة بعد عدة أيام ، بينما أرسل على تكين يطلب الصلح دون أن يعلم بوفاة التونتاش (خوارزمشاه) ، وقد وافق السلطان مسعود على الصلح على أن يعود الجيش الغزنوى إلى خراسان ، ويعود جيش على تكين إلى سمرقند[٢].

وقد قبل السلطان مسعود الصلح مع على تكين بعد أن كان يريد استئصال شأفته من بلاد ما وراء النهر ، لوجود بعض الاضطرابات فى بلاد الهند وجرجان، كما بدأ ظهور خطر الأتراك السلاجقة فى خراسان حينذاك .

---

(١) ختلان تقع شمال نهر جيحون شرق سمرقند ـ ياقوت ـ معجم البلدان ـ جـ٢ صـ٣٤٦ .

(٢) البيهقى ـ تاريخ البيهقى ـ صـ ٣٧٤ .

أما على تكين فقد قبل الصلح على مضض بعد قتل كثير من جنده، وانهيار قوته العسكرية ، ولذلك تواطأ سرا مع السلاجقة، وحرضهم على محاربة السلطان مسعود، وأرسل لهم بعض الامدادات لذلك كان السلطان مسعود لا يأمن جانبه رغم ما بينهم من عهود ومواثيق، واستمر سوء الظن سائدا بين الطرفين حتى توفى تكين سنة ٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م ، وتولى أبناؤه وأكبرهم يوسف حكم بلاد ما وراء النهر[١].

وقد دفعت هذه الأحداث السلطان مسعود إلى توطيد علاقته بالخان الأعظم للدولة القراخانية قدرخان، وكان يرسل إليه الرسل بصفة مستمرة يخبره بما قام به من فتوحات وأعمال عسكرية ، وربما كان يقصد بذلك إظهار قوة الدولة الغزنوية للقراخانيين ، بل وزيادة فى دعم روابط الثقة بينهما كان السلطان مسعود يخبر الخان الأعظم بما يحدث فى بلاده من أحداث داخلية مثل صراعه على السلطة مع أخيه محمد ، وكيف حسم الصراع لصالحه؟[٢] .

واستمرت العلاقة طيبة بين الطرفين حتى توفى قدرخان سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣٢م[٣] وتولى ابنه بغراتكين سليمان الملقب بأرسلان

---

(١) البيهقى ــ صـ ٤٧٤ .

(٢) سوف نذكر إن شاء الله فى ختام البحث نصوص بعض هذه الرسائل .

(٣) أثنى المؤرخون على حكم قدرخان وفتوحاته مثل البيهقى وابن الأثير وابن خلدون فيقول ابن الأثير : " كان قدرخان عادلا حسن السيرة ، كثير الجهاد ، وكان يدم الصلاة فى الجماعة" الكامل جـ ٩ صـ ٢٩٩ .

خان ، ولكنه لم تكن له من القوة والمكانة ما كان لأبيـــه، ولـــم يعـــد لمنصب الخاقان الأعظم هيبة أو مكانة كبيرة، ولذلك اكتفى سليمان من أخوته وأقربائه بالطاعة الرسمية للمحافظة على لقب الخان الأعلى بعد أن قسم الدولة بينهم ، ولم يبق لنفسه سوى بلا ساغون وكاشغر، فكـــان لأخيه بغراخان طراز واسفيجاب (شمال نهر سيحون) ولأخيه أرســـلان تكين مدن تركستان ، ولعمه طغان خان إقليم فرغانـــة (شـــرق نـــهر سيحون)، أما بخارى وسمرقند وغيرهما من بلاد ما وراء النهر فكانت ليوسف بن على تكين[1].

وقد أعطى هذا التقسيم نوعا من الاستقرار فى الدولة القراخانيـــة مما ساعد على انتشار الدعاة المسلمين فى أنحاء البلاد وعلى أطرافـــها لنشر الإسلام بين الأتراك الوثنيين ، وقد أثمرت هذه الجهود عن إسلام عدد كبير من الأتراك فيذكر ابن الأثير: "أنه أسلم فى سنة ٤٣٥هـــــ/ ١٠٤٤م من كفار الترك الذين كانوا يطرقون بلاد الإسلام بنواحى بـــلا ساغون وكاشغر ويغيرون ويعثون ، عشرة آلاف خركاة،وضحوا يـــوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس غنم ، وكفى الله المسلمين شرهم"[2].

---

(١) توفى على تكين عام ٤٢٥هـ / ١٠٣٤م وخلفه ابنه يوسف بن على الـــذى واصل سياسة أبيه فى إقليم ما وراء النهر ، ثم اعترف بحكمه الخاقان الأعلـــى ليحتفظ للدولة القراخانية بوحدتها ــ البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـــ ٤٧٤

(٢) ابن الأثير ــ الكامل ــ جـــ ٩ صـــ ٥٢٠ وقد أوضحنا فيما سبق معنى كلمـــة خركاه .

وساعد دخول هؤلاء الأتراك فى الإسلام على انتشارهم فى أنحاء الدولة القراخانية ، لأنهم كانوا يجتمعون معا قبل ذلك ليحمى بعضهم بعضا من جيوش الدولة القراخانية .

وقد انتهز بعض دعاة طائفة الإسماعيلية[١] دخول هذه الأعداد الكبيرة من الأتراك فى الإسلام ، وسعوا إلى نشر مذهبهم بينهم ، كما دعوهم إلى طاعة الخليفة الفاطمى فى مصر[٢] ، فتبعهم جمع كبير ، وخاصة أنهم لم يعرفو عن الإسلام غير القليل ، وسمع أرسلان خان بخبرهم وخاصة بعد أن أظهروا بعض شعائرهم ، فدبر لهم مكيدة للإيقاع بهم جميعا دون أن يفلت منه أحد ، فأظهر لبعض دعاتهم أنه يميل إليهم، ويريد الدخول فى مذهبهم ، وطلب منهم حضور مجلسه حتى أمنوا له، وعرف منهم أسماء دعاتهم ، وجميع من أجابهم إلى مذهبهم، وحينئذ أمر بقتل من فى مجلسه منهم ، وأرسل إلى ولاة

---

(١) الإسماعيلية هم فرقة من الشيعة يقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ، وبذلك يختلفون عن الشيعة الإمامية الاثنى عشرية الذين قالوا بإمامة موسى الكاظم بعد جعفر الصادق، واشهر دعاتهم الحسن الصباح الذى التف حوله الكثيرون، واتخذ قلعة الموت ــ شمال غرب إيران ــ مقرا لدعوته، واستطاعوا تكوين معاقل كثيرة حصينة يتحصنون فيها، وكان دعاة الإسماعيلية ينشطون فى البلاد حديثة العهد بالإسلام ، لعدم درايتهم بالمذاهب الإسلامية مثل الهند، والغور، وبلاد ما وراء النهر .
د/ محمد السعيد جمال الدين ، دولة الإسماعيلية فى إيران ــ صـ ٢٣ وما بعدها (القاهرة ١٩٧٥) حسن الأمين ــ الإسماعيليون والمغول ــ صـ٨٥ وما بعدها ( بيروت ١٩٩٧م).

(٢) كان الخليفة الفاطمى حينذاك هو المستنصر بالله الذى حكم من سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م ــ ٤٨٧ هـ /١٠٩٤م ) .

البلاد، وحكام المدن بقتل من فيها منهم ، وقضى بذلك على شـــرهم ، وسلمت البلاد منهم[1].

وفي بلاد ما وراء النهر تجدد الصراع بين يوسف بن على تكيـــن والسلطان مسعود الغزنوى ، إذ أنه كـــان مثـــل أبيـــه لا يحمـــل ودا للغزنويين، وكان هو وأخوته يطمعون فى السيطرة على بعض أقـــاليم خراسان ، كما كان حال أبيهم ، لذلك تآمروا مع هارون بن التونتـــاش حاكم خوارزم[2]، وتحالفوا معه لمحاربة الغزنويين ، وتم الاتفاق بينهما على أن يغزو هارون بقواته مدينة مرو ، بينما يزحف أبناء على تكيـن على ترمذ وبلخ، ثم يتقابلان بعد ذلك .

وقد قلق السلطان مسعود الغزنوى عندما علم بذلك أشد القلق إذ أن خطر السلاجقة قد بدأ فى خراسان ، لذلـــك أراد الســـلطان أن يمـــالأ يوسف بن على تكين ، ويظهر له المودة حتـــى لا يـــهاجم خراســـان، فأرسل إليه رسولا بالتعزية فى وفاة والده والتهنئة بولايته ، وخاطبـــه بقوله "الأمير الفاضل الولد" وذلك ليتراجع عن غزو خراســـان ، إلا أن هذه الرسالة لم تؤثر فى يوسف أو إخوته ، فانتهزوا بعد السلطان عـــن خراسان ــ إذ كان فى آمل بطبرستان ــ واضطراب الأحـــوال فيـــها فرصة سانحة لتحقيق أغراضهم فى التوسع .

---

(١) ابن الأثير ــ الكامل ــ جـ ٩ صـ ٥٢٤ .

(٢) كان هارون تابعا للدولة الغزنوية ، ووالياً على خوارزم من قبـــل الســـلطان مسعود، ولكنه تمرد عليهم بسبب وقوع أخيه ستى بن التونتاش من على ســـطح قصره فى غزنة ــ حيث كان مقيما بها مع السلطان مسعود ــ فمات ، فأرســـل الوشاة إلى هارون بأن السلطان مسعود هو الذى قتله، وأنه يدبر لقتـــل بـــاقى أخوته، فأعلن هارون العصيان . البيهقى ــ صـــ٤٢٧ .

وتحرك جيش أبناء على تكين فى رجب سنة ٤٢٥هـ فاجتاح صغانيان[١]، وفر واليها الغزنوى منها ، ثم توجهوا بعد ذلك إلى ترمذ إلا أن حامية ترمذ تصدت لهم ، وقتلت عددا كبيرا منهم ، ثم علموا أن هارون خوارزمشاه قد قتل وهو فى الطريق إليهم [٢] ، فعادوا من ترمذ إلى سمرقند دون تحقيق أهدافهم[٣].

وفى العام التالى (٤٢٦)هـ استعد أبناء على تكين لمعاودة الكرة مرة أخرى ، والهجوم على صغانيان وترمذ ، وذلك بعد أن نما إلى علمهم هزيمة الجيش الغزنوى الذى أرسله السلطان مسعود إلى نسا لمحاربة السلاجقة ، فقوى عزمهم ، وجهزوا جيشهم وساروا من سمرقند إلى صغانيان ، ولكنهم علموا أن والى صغانيان لديه جيش كبير، كما أرسل السلطان مسعود جيشا كبيرا إلى بلخ لمساعدة والى صغانيان إذا الأمر ، فقرر أبناء على تكين العودة إلى سمرقند مرة أخرى[٤].

---

(١) صغانيان إقليم يقع شمال نهر جيحون يجرى فيه كثير من الأنهار تمتد أعمالها إلى مدينة ترمذ ــ محمود شيت خطاب ــ بلاد ما وراء النهر ــ صـ ٣٩ .

(٢) كان وزير السلطان مسعود ويسمى أحمد عبد الصمد قد دبر مؤامرة لاغتيال هارون حتى لا يتحالف مع أبناء على تكين ، فاتفق مع اثنى عشر غلاما من حرسه على قتله إذا غادر خوارزم فى الطريق للهجوم على مرو بخراسان ، فقتلوه فى أول رجب سنة ٤٢٥هـ ، وعاد جيشه إلى خوارزم مرة أخرى ــ البيهقى صـ ٥٠٠ .

(٣) البيهقى ــ صـ ٤٩٨ .

(٤) د/ محمد حسن العمادى ــ خراسان فى العصر الغزنوى ــ صـ٥٣

ولم يجدوا أمامهم بعد ذلك سوى طلب الصلح من السلطان مسعود، فأرسلوا إليه يعتذرون عما بدر منهم قبل ذلك من الهجوم على صغانيان وترمذ ، وقد اضطر السلطان مسعود لعقد الصلح معهم سنة ٤٢٧هـ لما كانت تمر به الدولة الغزنوية حينذاك من اضطرابات لعل أخطرها ازدياد قوة السلاجقة(١).

ثم أرسل يوسف بن على تكين رسولين من قبله إلى السلطان مسعود الغزنوى سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م لتوطيد العلاقة بين الطرفين برباط المصاهرة بين الأسرتين ، كما طلب من السلطان مسعود أن يتوسط بينه وبين أرسلان خان الخان الأعظم وحاكم تركستان لتصفية ما بينهما من خلافات وتوثيق العهود بينهما ، وذلك بسبب ظهور منافس لأبناء على تكين فى حكم بلاد ما وراء النهر ، هو طمغاج خان، فأرادوا كسب ود الخان الأعظم لمساعدتهم ضد المنافسين لهم ، وقد رد السلطان مسعود عليهم ردا طيبا ووعدهم بإجابة مطالبهم(٢).

ولم يكد السلطان مسعود الغزنوى ينتهى من مشاكل أبناء على تكين حتى ظهرت له مشكلة أخرى مع القراخانيين ، فقد أرسل بغراخان شقيق الخان الأعلى أرسلان خان وحاكم طراز وأسفيجاب إلى السلطان مسعود يطلب منه مساعدته فى السيطرة على بخارى وسمرقند من أبناء على تكين ، كما يطلب إتمام زواجه بزينب بنت

---

(١) البيهقى ــ صـ ٥٣٤ .
(٢) البيهقى ــ صـ ٥٥٠ .

السلطان محمود ــ وكان والده قدرخان قد خطبها له قبل وفاته ــ ولكن السلطان مسعود لم يرد أن يزج بنفسه وبجيشه فى الصراع بين القراخانيين ، وخاصة أن أرسلان خان الخان الأعلى لن يرضى بتوسعات أخيه فى بلاد ما وراء النهر ، كما أن السلطان مسعود يرتبط بعهود صلح مع أبناء على تكين ، لذلك حرض السلطان مسعود على التوسط لحل ما بينهم من خلافات دون مساعدة طرف ضد الآخر ، وعزم على تلبية مطلب بغراخان بإتمام زواجه من زينب شقيقة السلطان، إلا أنه علم بأن بغراخان تحدث حديثا لا يليق عن ميراثها المستحق بوصفها شقيقة السلطان ، فغضب السلطان مسعود غضبا شديدا وأعاد رسول بغراخان بوعود معسولة وأجل لم يسم ، ثم بعث إلى الخان الأعلى بكتاب يشكو فيه بغراخان ، فأرسل الخان الأعلى إلى أخيه يعاتبه وينهاه عن هذا العبث ، فأغضب ذلك بغراخان ، وأعلن عداوته لأخيه وللسطان مسعود ، وأرسل إلى السلاجقة ــ وكان نفوذهم بدأ يزداد فى خراسان ــ يغريهم بالغزنويين ويقوى عزائمهم، ويطلب منهم محاربة الغزنويين ، ويعدهم بأنه سيمدهم بما يحتاجون إليه من رجال وعتاد[١].

وما أن علم السلطان مسعود بهذه الأخبار ــ بعد أن وقعت رسالة بغراخان فى يديه ــ حتى علاه الهم ، لأن السلاجقة قد بدأوا فى إثارة المشاكل فى الدولة الغزنوية ، بل وانتصروا على الجيش الذى أرسله السلطان مسعود إليهم ، فإذا انضم إليهم بغراخان ازدادت قوتهم ،

---

(١) البيهقى ــ صـ ٥٧٢ .

وقويت شوكتهم فى محاربة الغزنويين ، لذلك أسرع السلطان فى إيفاد رسول إلى بغراخان ليقنعه بإيثار الود مع السلطان، وعدم التعاون مع السلاجقة ، وبعد مفاوضات طويلة نجح الرسول فى عقد الصلح مع بغراخان ، وأثناء عودته جدد معاهدات السلطان مسعود مع الخان الأعلى أرسلان خان ، وتفرغ السلطان بعد ذلك لمشاكل السلاجقة[١].

(١) البيهقى ــ صـ ٥٧٤ .

## انقسام الدولة القراخانية :

شهد عصر الخاقان الأعلى أرسلان خان انقسام الدولة القراخانية إلى قسمين شرقية وغربية ، ويرجع السبب فى ذلك ــ كما ذكرنا ــ إلى ضعف هيبته، وحرصه على إرضاء إخوته وأقربائه ، فقسم الدولة بينهم ، فسعى بعضهم للانفصال عن سلطانه، والتمتع بكافة السلطات دون أن يكون للخاقان الأعلى أى سلطان عليه ، ولو كان سلطانا اسميا، وقد أصبحت الدولة الشرقية تشمل تركستان وعاصمتها بلا ساغون فى أول الأمر ثم انتقلت إلى كاشغر ، والدولة الغربية وتشمل إقليم ما وراء النهر وعاصمتها بخارى .

وقد ظهر هذا الانقسام واضحا فى الثلاثينات من القرن الخامس الهجرى (أربعينات القرن الحادى عشر م ) حيث أصبح حكم الخاقان الأعلى أرسلان خان قاصرا على تركستان بينما كان يتصارع على إقليم ما وراء النهر قوتين : الأولى تشمل أبناء على تكين بزعامة يوسف بن على، والثانية يتزعمها أبو إسحاق إبراهيم بن إيلك خان نصر[١] ،ولقبه بورى تكين أو طفغاج خان ، وكان أبناء على تكين حينما أدركوا تطلعه للحكم فى إقليم ما وراء النهر قبضوا عليه وأودعوه فى السجن ، إلا أنه لم يلبث أن هرب والتحق بخدمة أخيه محمد بن نصر حاكم فرغانة سنة ٥٣٠هـ / ١٠٣٩م ، ثم استعان ببعض القبائل القاطنة بالقرب من فرغانة وتسمى الكوميجيين ، وتوجه

---

(١) إيلك خان نصر والد هذا القائد هو الذى فتح بخارى وسيطر عليها سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٩م وقضى على عبد الملك بن نوح آخر أمراء الدولة السامانية .

بهم لمحاربة يوسف بن على تكين وأخوته،وانتصر عليهم فى عدة معارك،ونجح فى السيطرة على بخارى وسمرقند سنة ٥٣٣هـ/ ١٠٤٢م ، وبذلك أصبح حاكما لبلاد ما وراء النهر وخانا أعلى للدولة القراخانية الغربية(١).

وقد حرص بورتكين فى بداية حكمه على إقامة علاقات ودية مع الغزنويين لمساعدته ضد المنافسين له فى الحكم ، وخاصة أبناء على تكين ، ورغم أن السلطان مسعود الغزنوى رد عليه ردا طيبا إلا أنه رأى أن السلطان لن يقدم له المساعدة التى يرجوها، ويطمع فيها، بسبب انشغاله آنذاك بمحاربة السلاجقة ، فانقلب بورتكين على الغزنويين ، وهاجم بجيشه ختلان التابعة لهم ، وقام بأعمال سلب ونهب للبلاد المجاورة لها ، ثم استولى عليها ، فأرسل له السلطان مسعود جيشا أجبره على ترك ختلان ، والتوجه إلى بلاد ما وراء النهر .

ولم يكتف السلطان بذلك وإنما سار بنفسه على رأس جيشه لمحاربته والقضاء عليه ، وعبر نهر جيحون ، إلا أنه علم بتحرك عسكرى للسلاجقة فى خراسان وقيامهم بالسيطرة على بعض مدنها، فعاد السلطان إلى بلخ مسرعا لوقف تحركاتهم ، وحينذاك انتهز بورتكين الفرصة ، وهاجم مؤخرة الجيش الغزنوى ، وفتاز بغنيمة

---

(١) البيهقى ــ تاريخ البيهقى ــ صـ ٥٩٦ .

كبيرة ، عبارة عن قوافل من الإبل والخيول المحملة بالبضائع والسلع، ثم تحالف مع السلاجقة ضد الغزنويين[١].

أما بالنسبة للدولة القراخانية الشرقية فكان أرسلان خان خاقانا أعلى لها ــ كما ذكرنا ــ وأصبحت سلطته قاصرة عليها بعد انفصال إقليم ما وراء النهر ، بل إنه لم يستطع أن يفرض سلطانه ونفوذه على الدولة الشرقية أيضا، فقد نازعه أخوته فى الحكم، وخاصة بغراخان حاكم طراز وأسفيجاب ،وقامت بينهم عدة حروب انتهت بهزيمة أرسلان خان وأسره ، وسجنه وسيطر بغراخان على أملاكه ، وأصبح الخاقان الأعلى للدولة القراخانية الشرقية .

ثم عهد بغراخان بالحكم من بعده إلى أكبر أبنائه واسمه حسين جغرى تكين وجعله ولى عهده ، وكان له ولد صغير من زوجة أخرى كانت ترغب فى أن يكون ابنها هو ولى عهد أبيه ويسمى إبراهيم ، فدبرت مؤامرة للتخلص من ابنه الأكبر حسين تكين حيث دست له السم فى طعام أعدته له ولجماعة من أهله فماتوا جميعا، وحتى تضمن أن لا ينازع ابنها فى الحكم أحد حرضت بعض خدمها على قتل أخى زوجها أرسلان خان الذى كان فى السجن ، فقتلوه سنة ٤٣٩هـ/ ١٠٤٨م، كما قتلوا وجوه أصحابه ، فثار أبناؤه عليها وعلى ابنها، كما ثار باقى أولاد بغراخان خان انتقاما لأخيهم حسين تكين ، بعد أن علموا بمؤامرة زوجة أبيهم ، وأصبحت الدولة الشرقية تموج بالفتن والخلافات ،

---

(١) أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان صـ ١١٨ .

والخان الأعلى لم يعد فى استطاعته ضبط الأمور فى البلاد حيث أن الصراع بين أبنائه وأبناء أخيه أطمع فيهم طفغاج خان إبراهيم حاكم الدولة الغربية ، وتوجه بقواته للتوسع فى بلادهم فسيطر على العديد من مدن تركستان ، وعاد إلى بلاده مرة أخرى[١].

واستمرت الدولة القراخانية الشرقية فى حالة من الاضطرابات حتى توفى بغراخان سنة ٤٥١هـ ، وتولى الحكم بعده أخوه طغرل خان، وكان أكثر حزما وقوة من أخيه لذلك عمل على إعادة الأمن والاستقرار إلى بلاده مرة أخرى ، ولم يكتف بذلك بل جهز جيشه لإعادة البلاد التى سيطر عليها حكام الدولة القراخانية الغربية أثناء حكم أخيه بغراخان[٢].

وكان طفغاج خان بورتكين حاكم الدولة الغربية قد زهد فى الحكم وتركه لابنه شمس الملك فى حياته[٣]، فنازعه أخوه طغان خان على الحكم ، وحاصره فى سمرقند فخرج له شمس الملك ليلا وباغته مع خمسمائة من غلمانه ، فهزمه ، وأجبره على الفرار وثبت أقدامه فى حكم الدولة القراخانية الغربية فى حياة أبيه .

وقد هاجمه طغرل خان بجيشه ، واقترب من سمرقند، ودارت بينهما مناوشات لم تصل إلى حد المعركة الفاصلة ، وجرت الرسل

---

(١) ابن الأثير ــ الكامل ــ جـ ٩ صـ ٢٩٩ .

(٢) ابن الأثير ــ جـ ٩ صـ ٣٠٢ .

(٣) يذكر ابن الأثير أن سبب زهده فى الحكم أنه ورد عليه أبو شجاع العلوى الواعظ ، وكان زاهدا ، فوعظه ، وأوصاه بترك الملك ، لأنه لا يصلح له، فزهد فيه وتركه ــ الكامل ــ جـ ٩ صـ ٣٠٠ .

بينهما حتى تم عقد صلح بين الطرفين ينص على أن تكون البلاد المتاخمة لنهر جيحون لشمس الملك ، والمناطق الشمالية والشرقية لنهر جيحون لطغرل خان ، والحد الفاصل بينهما مدينة خجنده[١] .

وهدأت الأمور بذلك بين الدولتين ، إلا أنهم لم ينعموا طويلا بهذا الهدوء فقد لاح فى الأفق بوادر خطر جديد يحتم عليهما التحالف معا لمواجهته ألا وهو الغزو السلجوقى لبلادهم .

## غزو السلاجقة للدولة القراخانية :

بدأت علاقة السلاجقة بالدولة القراخانية منذ بدايتها حيث كان السلاجقة يسكنون بلاد ما وراء النهر ومناطق تركستان عند تأسيس الدولة القراخانية ، ودخولها فى صراع مع الدولة السامانية ، فكان السلاجقة ينضمون أحيانا إلى السامانيين ، وأحيانا إلى القراخانيين[٢] .

وبعد نهاية الدولة السامانية ، وتوطيد أقدام القراخانيين فى بلاد ماوراء النهر وتركستان دخل السلاجقة فى صراع معهم ، وقامت بينهم عدة حروب مما اضطر السلاجقة إلى عبور نهر جيحون وتفرقوا فى خراسان التابعة حينذاك للسلطان محمود الغزنوى ، وتجمعوا فى

---

(١) ابن خلدون ــ العبر ــ جـ ٤ صـ ٣٩٣ .
(٢) بارتولد ــ تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ــ صـ ١٢٢ .

المنطقة الواقعة بين نسا وباورد ، فلما علم السلطان محمود بخطرهم حاربهم وهزمهم، إلا أنه لم يتمكن من طردهم من خراسان[١].

وبعد وفاة السلطان محمود سنة ٤٢١هـ تمكنوا من جمع شملهم مرة أخرى بقيادة طغرلبك وأخيه جغرى بك داود ، وأخذوا يوسعون أملاكهم فى خراسان ، مما دفع السلطان مسعود الغزنوى لتجهيز جيشه لمحاربتهم ، وفى هذه الأثناء قام السلاجقة بتوطيد علاقتهم بعلى تكين الحاكم القراخانى لبلاد ما وراء النهر وشقيق قدرخان الخان الأعلى للدولة القراخانية ، حتى لا يقعوا بين عدوين فى وقت واحد ، وفى المقابل تحالف معهم على تكين لما بينه وبين الغزنويين من عداوة وحروب ــ كما ذكرنا من قبل ــ بل وكان يرسل إليهم بالإمدادات ويحرضهم على محاربة الغزنويين[٢].

وبعد وفاة على تكين سنة ٤٢٥هـ / ١٠٣٤م ساءت علاقة السلاجقة مع أولاده مما دفع السلاجقة إلى مساندة بورتكين طفغاج خان الذى كان فى صراع مع أبناء على تكين للسيطرة على بلاد ما وراء النهر ، وتم عقد تحالف بينهما ضد أبناء على تكين والغزنويين وانضم بورتكين بقواته إلى السلاجقة ، وحارب معهم الغزنويين ، ثم أمده

---

(١) د/ حسن أحمد محمود ــ العالم الإسلامى فى العصر العباسى ــ صـ ٤٢٨ (دار الفكر العربى سنة ١٩٩٥) .

(٢) البيهقى ــ صـ ٤٦٠ .

السلاجقة بفرق من جندهم لمحاربة أبناء على تكين حتى انتزع منهم حكم بلاد ما وراء النهر[١] .

وقد رد بورتكين الجميل للسلاجقة بالاشتراك معهم فى معركة داندانقان سنة ٤٣١هـ/ ١٠٤٠م[٢] ضد الغزنويين ، وتولى قيادة مقدمتهم، وأبلى بلاءا حسنا فى هذه المعركة حتى انتصر السلاجقة وثبتت أقدامهم فى حكم خراسان[٣].

إلا أن العلاقة ساءت بين الطرفين بعد أن أصبحت أملاكهما متجاورة ويفصل بينهما نهر جيحون ، ولعل السبب فى ذلك هو رغبة السلاجقة فى التوسع وضم بلاد المشرق الإسلامى لدولتهم ، وقد قام السلطان ألب أرسلان فى عصر حكم عمه طغرلبك بغزو بلاد ما وراء النهر ، ونهبها، فتصدى له بورتكين حتى عاد إلى خراسان ، ثم أرسل إلى الخليفة العباسى القائم بأمر الله يسأله أن يكتب إلى ألب أرسلان بالكف عن بلاده،فأجابه الخليفة إلى ما أراد، وكتب إلى ألب أرسلان فتوقف عدة سنوات عن غزو بلاد ما وراء النهر ، وعقد معاهدة تحالف مع شمس الملك ابن بورتكين ــ الذى كان يتولى الحكم فى حياة

---

(١) البيهقى ــ صـ ٦٥٤ .

(٢) داندانقان حض يقع بين مرو وسرخس فى خراسان ، وقعت عنده المعركة الفاصلة بين السلاجقة والغزنويين ، وانتصر فيها السلاجقة وثبتت أقدامهم فى خراسان ، وتراجع الغزنويين إلى غزنة ، وبدأ بعدها توسع السلاجقة فى البلاد المجاورة ، د/ حسن أحمد محمود ــ العالم الإسلامى فى العصر العباسى ــ صـ ٤٣١ .

(٣) البيهقى ــ صـ ٦٨٣،د/ محمد حسن العمادى ــ خراسان فى العصر الغزنوى صـ ٥٨ .

أبيه ــ كما عقد معاهدة أيضا مع طغرل خان حاكم الدولة القراخانية الشرقية ، وتم توطيد هذا التحالف بالمصاهرة ، فتزوج ألب أرسلان بابنة قدرخان وشقيقة طغرل خان ، وتزوج شمس الملك بابنة ألب أرسلان(١).

وبعد تولى ألب أرسلان حكم السلاجقة سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م استمر التحالف قائما بين الدولتين حتى سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م ثم حدث خلاف بين الدولتين حول المناطق الواقعة على ضفاف نهر جيحون مثل بلخ وترمذ وصغانيان وختلان ، وكانت تابعة للقراخانيين فأراد السلطان ألب أرسلان أن يسيطر عليها،فسار بجيشه إلى بلخ وترمذ فسيطر عليهما ، ثم عقد جسرا على نهر جيحون وعبر بجيشه إلى بلاد ما وراء النهر ، ونقض بذلك المعاهدة الموقعة بينه وبين شمس الملك حاكم بلاد ما وراء النهر،وتوجه إلى بخارى فسيطر عليها ونهبها الجند ، ثم توجه بعد ذلك إلى سمرقند ، وفى الطريق استعصت على ألب أرسلان قلعة صغيرة، فحاصرها حتى قبض على حاكمها ويسمى يوسف الخوارزمى ، وحينما هم السلطان بقتله أخرج يوسف سكينا من طيات ملابسه ، وطعن السلطان عدة طعنات أودت بحياته بعد عدة أيام فى ربيع الأول سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م(٢).

---

(١) ابن الأثير ــ الكامل ــ جـ ٩ صـ ٣٠٠ .

(٢) الذهبى ــ دول الإسلام ــ جـ١ صـ٢٧٤ (دار إحياء التراث الإسلامى ــ قطر ــ ١٩٨٨م) .

وقد خلف السلطان ملكشاه أباه ألب أرسلان فى حكم السلاجقة وكان مرافقا له فى حملته، فأمر بعودة الجيش إلى خراسان ، وهنا انتهز شمس الملك القراخانى الفرصة ، وقام بهجوم مضاد على السلاجقة، فعبر نهر جيحون ، وسيطر على ترمذ وبلخ من أيدى ولاة السلاجقة ، إلا أن الجند القراخانيين نهبوا كثيرا من أموال الناس ، لذلك لم يرحب أهل بلخ وترمذ بوجودهم ، بل وقام أهل بلخ بالهجوم على الحامية القراخانية، وقتل كثير من أفرادها ، فعاد إليهم شمس الملك من ترمذ، وسيطر على المدينة ، وأمر بإحراقها، ولكن أعيان البلدة سألوه العفو والصلح ، فعفا عنهم ، ولكنه فرض عليهم غرامة كبيرة .

وقد حاول السلطان استعادة بلخ وترمذ من القراخانيين فأرسل أخاه إياز بن ألب أرسلان فى عشرة آلاف فارس فدخل بلخ دون قتال ، ثم توجه إلى ترمذ ، فتقابل معه شمس الملك بالقرب منها فانهزم إياز ، وغرق كثير من جنده فى نهر جيحون ، ولم ينج منهم إلا عدد قليل[1].

وما أن استقرت أقدام السلطان ملكشاه فى الحكم ، وقضى على ثورات أمراء السلاجقة حتى جهز جيشا ضخما سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م سار به إلى ترمذ وحاصرها ، فطلب حاكمها – وهو أخ لشمس الملك القراخانى – الأمان ، فأمنه ، وخرج منها هو وحاميته وسلموها للسلطان ملكشاه ، الذى سار بعد ذلك صوب سمرقند ،

(١) ابن الاثير – الكامل – جـ ١٠ صـ ٧٢ .

فأرسل شمس الملك يطلب منه عقد الصلح ، وتوسط بين الطرفين الوزير السلجوقى نظام الملك ، حتى تم عقد الصلح وعاد السلطان ملكشاه إلى خراسان[١] .

ولعل ما دفع السلطان ملكشاه إلى عقد الصلح والعودة إلى خراسان هو ما ترامى إلى سمعه من أخبار عن تمرد أخيه إياز وانضمام بعض أمراء السلاجقة إليه ، فقرر سرعة عقد الصلح والعودة لضبط الأمور فى خراسان ، وإخماد الفتنة فى مهدها قبل أن يستفحل خطرها .

وقد توفى طغرل خان الحاكم الأعلى للدولة القراخانية الشرقية سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م ، وتولى الحكم بعده ابنه طغر لتكين كما توفى شمس الملك الحاكم الأعلى للدولة القراخانية الغربية سنة ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م وتولى أخوه خضر خان الذى حرص على توطيد علاقته بالدولة القراخانية الشرقية فى تركستان ،وارتبط بحكامها بروابط المصاهرة ، لذلك ساد الأمن والسلام بين الدولتين ، كما كانت علاقته طيبة بالسلاجقة ، فلم يحدث فى عصره أى احتكاك بين الدولتين فنعمت البلاد فى عهده بالرخاء والأمان[٢] .

وبعد وفاة خضر خان سنة ٤٧٤هـ / ١٠٨٧م تولى ابنه أحمد خان الذى كان على النقيض تماما من أبيه ، فقد كان شابا سئ الطبع

---

(١) الذهبى ــ دول الإسلام ــ جـ ١ صـ ٢٧٥ .
(٢) أحمدوف ــ منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان ــ صـ ١٢٠ .

والخلق ظالما ، يكثر مصادرة الأموال والأملاك من الأعيان والتجار ، وعلاوة على ذلك كان يعادى الفقهاء والعلماء المسلمين بصورة علنية، وغدر بالشيخ أبى نصر أحمد الكاسانى ــ من كبار علماء سمرقند آنذاك ــ وقتله ، واستولى على أمواله ، كما قتل الشريف أبو الحسن محمد بن زيد الحسينى المحدث ، واستولى على أمواله ، مما دعا كثير من العلماء إلى مغادرة بلاد ما وراء النهر، متذرعين بأعذار شتى، وعلى رأسهم الفقيه أبى طاهر بن علك الشافعى ، الذى غادر سمرقند متظاهرا بأنه مسافر لأداء فريضة الحج، ولكنه اتجه إلى مرو ، مقر السلطان السلجوقى ملكشاه ، حيث اجتمع به ، وشكا له أحمد خان وحرضه على غزو بلاد ما وراء النهر ، والسيطرة عليها[١] .

وقد لاقى كلام أبى طاهر الفقيه هوى فى نفس السلطان ملكشاه إذ كان يرغب فى السيطرة عليها منذ غزوها فى المرة السابقة سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م، ولكن الظروف لم تساعده حينذاك، إلا أنها أصبحت فى هذا الوقت مواتية لفرض سيطرته عليها .

وجهز السلطان ملكشاه جيشا ضخما سنة ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م[٢]، وصفه ابن الأثير بقوله : "فعبر النهر ــ جيحون ــ بجيوش لا

---

(١) الذهبى ــ دول الإسلام جـ٢ صـ ١٠ ، أحمدوف، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزربكستان ــ صـ ١٢٠ .

(٢) يذكر الحسينى أن حملة ملكشاه على الدولة القراخانية كانت سنة ٤٨١هـ، زبدة التواريخ ــ صـ ١٣٧ ( بيروت ١٩٨٦م) مخالفا بذلك باقى المصادر الأخرى مثل ابن الأثير والبندارى والراوندى، وربما يقصد بداية استعداده للحملة ، وليس تاريخ وصولها إلى بلاد ما وراء النهر .

يحصرها ديوان، ولا تدخل تحت الإحصاء"[١] ثم توجه إلى بخارى فسيطر عليها دون مقاومة تذكر ، ثم توجه إلى سمرقند مقر الخان أحمد الخان الأعلى للدولة القراخانية الغربية ، فحاصرها ، وأرسل إلى أهلها يطلب منهم مساعدته فى دخول المدينة ، ليخلصهم من ظلم الخان أحمد ، ولكن الخان استعد جيدا للحصار وكلف الأمراء الذين يثق بهم فى مراقبة الأسوار والأبراج ، إلا أن السلطان ملكشاه نجح فى اقتحام المدينة من خلال أحد الأبراج ، وكان يحرسه قائد أسر ابنه فى بخارى فهدده السلطان بقتل ابنه فتراخى فى القتال ، حتى تمكن السلاجقة من السيطرة على البرج ثم الدخول إلى المدينة[٢] .

وقد حاول الخان أحمد الاختفاء فى بعض بيوت العامة إلا أن السلاجقة قبضوا عليه ، وأحضروه إلى السلطان ملكشاه ، فأرسله إلى أصفهان ، وعين على سمرقند الأمير أبا طاهر نائبا عنه فى بلاد ما وراء النهر[٣].

ولم يكتف السلطان ملكشاه بذلك وإنما توجه إلى الدولة القراخانية الشرقية لإخضاعها أيضا لسلطانه ، فلما بلغ مدينة يوزكند بالقرب من كاشغر عاصمتهم ، أرسل إلى طغرلتكين الخان الأعلى للدولة الشوقية يطلب منه الاعتراف بتبعيته للسلاجقة، وإقامة الخطبة للسلطان فى

---

(١) ابن الأثير ــ جـ١ صـ١٧١ .

(٢) البندارى ــ مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ــ صـ ٥٥ ( دار الرائد العربى سنة ١٩٧٤م)

(٣) الراوندى ــ راحة الصدور ــ صـ ٢٠٣( المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأداب سنة ١٩٦٠).

بلاده، وضرب السكة باسمه[١]، فوافق الخان على ما طلبه السلطان، بل وحضر إلى معسكر السلطان ، فأكرمه ، وأعاده إلى بلاده بينما عاد السلطان ملكشاه إلى أصفهان بخراسان[٢].

وكانت تبعية الدولة القراخانية الشرقية للسلاجقة تبعية شكلية قاصرة على إقامة الخطبة ونقش اسم السلطان على العملة، ولم يرد فى أى مصدر ــ فيما تيسر لنا ــ أنهم دفعوا أموالا للسلطان تحت أى مسمى ، وكان السلطان ملكشاه قانعا بذلك ، لأنه لا يريد أن يزج بجيشه فى حروب مع أتراك مثله ، يعرف أن الحرب معهم يصعب حسمها فى وقت قصير ، وقد دفع والده ألب أرسلان حياته ثمنا لحروبه فى هذه البلاد ، كما أن السلطان لديه حروب فى جبهات

---

(١) يذكر الحسينى أن خان كاشغر هو الذى أرسل إلى السلطان ملكشاه رسولا محملا بالهدايا والتحف، والتمس من السلطان العفو والغفران ، وقال لرسوله: "قل للسلطان: أذلت لك الأيام أخادعها ، وصفت لك الأقاليم مشارعها، فلا يضرك إن بقى فى الأقاليم بيت من بيوت الملك القديم ، وإن اقتضى رأيك زوجت من بعض بنات مواليك لبعض أولادك ، فنحن من مواليك وعبيدك" فتوسط الوزير السلجوقى نظام الملك ليقبل السلطان ملكشاه طاعة الخاقان . زبدة التواريخ ــ صـ١٣٨ .

إلا أننا نرى أن الحسينى بالغ فى روايته وأن ما ذكره ابن الأثير هو الأقرب للصواب لأن الخاقان لم يرتكب أى خطأ فى حق السلطان أو هاجم بلاده حتى يطلب منه العفو والغفران، ولم يكن من الضعف حتى يصف نفسه بأنه من عبيد السلطان كما أن السلطان ملكشاه هو الذى كان بحاجة إلى سرعة العودة إلى عاصمته فى خراسان بعد أن غاب عنها فترة طويلة، وبعد المسافة عنها، مما يتيح الفرصة لبعض القادة والأمراء للتمرد على سلطانه ، لذلك نرى أنه هو الذى طلب من الخاقان الاعتراف بطاعته .

(٢) ابن الأثير ــ جـ ١٠ صـ ١٧٢ .

أخرى أكثر أهمية من التركستان مثل جبهة الدولة البيزنطية والدولة الفاطمية .

## عودة السلطان ملكشاه إلى سمرقند :

ما أن عاد السلطان إلى خراسان حتى أعلن أهل سمرقند الثورة على نائبه أبى طاهر ، وتزعمهم أحد القادة ويسمى عين الدولة، والتف حوله جماعة من العسكر ، وقاموا بطرد أبى طاهر من المدينة، ولكن عين الدولة رأى أنه لا يمكنه أن يعلن نفسه حاكما على الدولة خشية تمرد أهل المدينة عليه لأنه لا ينتمى إلى الأسرة القراخانية الحاكمة ، كما أنه ليس لديه جيشا يستطيع به فرض سلطانه على بخارى وسمرقند ويتمكن من مواجهة السلطان ملكشاه إذا عاد بقواته إليهم ، لذلك رأى الاستعانة بأحد أفراد الأسرة القراخانية لينصبه حاكما شرعيا بينما يكون هو الحاكم الفعلى ، والمتولى زمام الأمور فى البلاد .

وقد وقع اختيار عين الدولة على يعقوب تكين شقيق طغر لتكين الخاقان الأعلى للدولة القراخانية الشرقية ــ وكان حاكما لمدينة آت باشى بإقليم فرغانة - فأرسل إليه يطلب منه الحضور فورا إلى سمرقند لاعتلاء عرش بلاد ما وراء النهر [١].

---

(١) البندارى ــ صـ ٥٥ .

وعندما حضر يعقوب تكين إلى سمرقند، وتولى الحكم بها وجد أن أمره لن يستقيم، ولن يتمكن من ممارسة سلطاته فى ظل وجود زعيم الثوار عين الدولة ، فدبر له مؤامرة أدت إلى قتله والتخلص منه[١].

ولم يهنأ يعقوب تكين طويلا بحكم سمرقند إن أن السلطان السلجوقى ملكشاه عندما علم بما حدث فى سمرقند، وطرد نائبه بها، جهز جيشه، وتوجه إلى بلاد ما وراء النهر مرة أخرى سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م ، فلما وصل إلى بخارى هرب يعقوب تكين من سمرقند، وعاد إلى مقر حكمه فى آت باشى، ودخل السلطان سمرقند دون مقاومة وعين عليها الأمير أبر ، وسار فى أثر يعقوب تكين للقبض عليه، ثم عسكر فى يوزكند ــ بالقرب من كاشغر ــ وأرسل فرق من الجند إلى أماكن مختلفة لطلبه ، كما أرسل إلى أخيه الخاقان الأعلى فى كاشغر يطلب منه القبض عليه وإرساله إليه .

وقد نجح الخاقان فى القبض على أخيه يعقوب تكين ، ولكن أنف أن يسلمه إلى السلطان السلجوقى ، فأرسل إليه يتوعده ، ويهدده بغزو بلاده إن لم يرسله إليه ، فاضطر الخاقان إلى إرساله، ووكل به جماعة من أصحابه، وسير معهم هدايا كثيرة للسلطان ليستجيب لطلبه بالعفو عن أخيه[٢].

---

(١) يذكر ابن الأثير أن يعقوب تكين حرض بعض الرعية ضد عين الدولة فادعوا عليه دماء قوم قام بقتلهم ، فأخذ فتوى من الفقهاء بقتله قصاصا لهم. الكامل ــ جـ١ ــ صـ١٧٣ .

(٢) البندارى ــ صـ ٥٥ .

وعندما وصل يعقوب تكين إلى السلطان ملكشاه ، قام أحد الأمراء القراخانيين ويسمى طغرل بن ينال. بغزو كاشغر، وأسر الخاقان الأعلى ، وقام جنده بنهب المدينة ، ثم عاد إلى بلاده[١].

فلما علم السلطان بما حدث فى كاشغر ، اتفق مع يعقوب تكين، على إرساله إلى كاشغر لمواجهة طغرل ينال، وبذلك ينأى السلطان بنفسه وبجيشه عن المشاركة فى هذه الاضطرابات، وليقتل القراخانيون بعضهم بعضا[٢].كما يضمن السلطان انشغالهم بالصراع فى الدولة الشرقية بتركستان فلا يتعرضوا لنائبه فى بلاد ما وراء النهر ، ويستقر الحكم السلجوقى بها .

إلا أنه لم يتحقق للسلطان ما أراد ، فقد استمر تمرد أهل سمرقند ورفض زعمائها للحكم السلجوقى المباشر مما دفع السلطان إلى الأفراج عن أحمد خان – الذى كان فى سجنه بأصفهان منذ حملة السلطان سنة ٤٨٢هـ – وأعاده إلى سمرقند ليتولى حكم بلاد ما وراء النهر مرة أخرى، مع الاعتراف بالتبعية للسلاجقة[٣].

---

(١) لم تشر المصادر إلى المنطقة أو المدينة التى يحكمها طغرل ينال، ونرجح أنها كانت مدينة قريبة من كاشغر ، لأنه فاجأ الخاقان ، فلم يستعد للقائه، ولم يجهز جيشه لمحاربته.

(٢) ابن الأثير – جـ ١٠ صـ١٧٥ .

(٣) لعل من العوامل التى ساعدت فى الإفراج عن أحمد خان ، وإعادته إلى مقر حكمه ، تدخل عمته تركان خاتون – زوجة السلطان ملكشاه – فى ذلك، وكان لها نفوذ كبير فى البلاط السلجوقى فى عصر السلطان . الحسينى – زبدة التواريخ – صـ١٥٥ .

**مقتل أحمد خان واضطراب أحوال الدولة القراخانية الغربية:**

كان أحمد خان ــ كما سبق وذكرنا ــ سئ الطبع ظالما ، معاديا للعلماء والفقهاء، فلما عاد إلى الحكم مرة أخرى استمر على سياسته القديمة ، بل وزاد على ذلك فأظهر بعض معتقدات الزندقة[١]، فكره جنده وأصحابه ، واتفقوا مع العلماء على قتله ثم قاموا بالقبض عليه فى المحرم سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م ، وأحضروا القضاة والفقهاء لمحاكمته ، حيث شهد عليه جماعة بإظهار الزندقة، فأفتى الفقهاء بقتله وتولى الحكم بعده أخوه مسعود خان[٢].

وحرص مسعود خان خلال فترة حكمه على توطيد علاقته بالسلاجقة والسلطان بركياروق[٣]، وأقام الخطبة له فى بلاده، كما لم تذكر المصادر حدوث أى خلافات فى عصره مع الدولة القراخانية الشرقية ، واستمر حكمه ثلاث سنوات وتوفى سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٨م[٤].

---

(١) تعلم أحمد خان هذه المعتقدات ، عندما كان بسجنه فى أصفهان ، حيث وكل به السلطان ملكشاه جماعة من الديلم لحراسته، وكان بعضهم زنادقة ، فحسنوا له معتقداتهم ، حتى اعتنقها وأظهر بعضا منها بعد عودته . ابن خلدون ــ العبر ــ جـ٤ صـ٣٩٤ .

(٢) ابن خلدون ــ العبر ــ جـ ٤ صـ٣٩٤ .

(٣) تولى بركياروق الحكم بعد وفاة أبيه ملكشاه سنة ٤٨٥هـ ، وتوفى سنة ٤٩٨هـ ــ الحسينى ــ زبدة التواريخ ــ صـ ١٦٥ .

(٤) أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان ــ صـ ١٢١ .

وقد أدت وفاة الخان مسعود إلى حدوث فراغ سياسى فى بلاد ما وراء النهر لعدم وجود أبناء له يرثون الحكم، مما أتاح الفرصة لأحد الأمراء القراخانيين ليعتلى عرش الحكم فى سمرقند وهو قدرخان جبريل بن عمر، الذى نجح بعد فترة فى تثبيت أقدامه فى حكم سمرقند وبلاد ما وراء النهر ٠

أما فى الدولة القراخانية الشرقية فقد تحرر الخاقان الأعلى طغرلتكين من أسر طغرل ينال بمساعدة أخيه يعقوب تكين،وعاد إلى كاشغر ليتقلد حكم الدولة مرة أخرى ٠

وقد حرص الأمير سنجر الحاكم السلجوقى لخراسان من قبل أخيه السلطان بركياروق على توطيد علاقته بالدولة القراخانية الشرقية لمواجهة أى تمرد من قبل قدرخان حاكم بلاد ما وراء النهر(١)٠

وحدث ما توقعه الأمير سنجر بل وأكثر مما توقعه ، فلم يكتف قدرخان بالتمرد على سلطان السلاجقة ، وإنما طمع فى السيطرة على خراسان بتحريض من أحد أمراء الأمير سنجر ويسمى كندكز ، الذى كتب إليه يعلمه بمرض الأمير سنجر ، وأنه أشرف على الهلاك، وقيام صراع على الحكم بين السلطان بركياروق وأخيه السلطان محمد، بالإضافة إلى كراهية السلطان بركياروق لأخيه سنجر فلن يمد له يد المساعدة ، وطلب منه سرعة التوجه لخراسان مما يسهل له السيطرة عليها ٠

---

(١) ابن الأثير ــ جـ ١٠ صـ ٣٤٧ ٠

واستجاب قدرخان لتحريض الأمير كندكز ، وجهز جيشه وعبر نهر جيحون سنة ٥٩٤هـ/ ١١٠٢م متوجها إلى خراسان[١] .

وعندما علم الأمير سنجر بتحرك قدرخان ، وكان قد عوفى من مرضه، بادر بلقائه مع ستة آلاف فارس، بينما كان مع قدرخان ما يقرب من مائة ألف مقاتل ، وهو ما كان مفاجأة للأمير سنجر، لذلك تباطأ الأمير سنجر فى خوض الحرب، وأرسل إلى قدرخان يذكره بالعهود والمواثيق بين الدولتين فلم يصغ إلى قوله، وأصر على محاربته والسيطرة على خراسان ، ومما جعله يصر على الحرب هروب الأمير كندكز من جيش الأمير سنجر إلى قدرخان ، وأعلمه بموقف الأمير سنجر ، وما معه من قوات ، فازداد طمع قدرخان فى السيطرة على خراسان .

ولم يجد الأمير سنجر أمامه سوى الحيلة للإيقاع بقدرخان، فأرسل العيون والجواسيس لمتابعة قدرخان ، ومعرفة أخباره ، حتى يتحين الفرصة المناسبة للهجوم عليه ، وبعد أيام جاءته الأخبار بأن قدرخان ترك جيشه وخرج يتصيد مع ثلاثمائة فارس من أصحابه ، فانتهز الأمير سنجر الفرصة ، وأرسل الأمير برغش فى فرقه من جيشه لحصاره والقبض عليه ، فقاتله الأمير برغش حتى انهزم من معه، وقبض عليه، وأحضره إلى الأمير سنجر الذى أمر بقتله ، مما أدى

---

(١) الحسينى ــ زبدة التواريخ ــ صـ ١٨٠ .

إلى تفرق جيشه ، وسيطر الأمير سنجر على بلاد ما وراء النهر[١].

ولم يلجأ الأمير سنجر إلى فرض سيطرته المباشرة على بلاد ما وراء النهر بتعيين نائب له من السلاجقة عليها ، فقد فشل أبيه ملكشاه فى هذه السياسة، واضطر للتراجع عنها فى آخر الأمر ، لذلك قام الأمير سنجر باختيار أحد الأمراء القراخانيين لتولى حكم بلاد ما وراء النهر وهو أرسلان خان محمد بن سليمان بن بغراخان ، ابن عم طغرلتكين الخان الأعلى للدولة الشرقية، وأمه بنت السلطان ملكشاه وأخت الأمير سنجر، كما أنه يعيش منذ عدة سنوات فى بلاط السلاجقة فى مدينة مرو، فأرسل سنجر لإحضاره من مرو، وأمده بفرقة عسكرية كبيرة لمساندته ، كما بايعه قادة الجند فى بخارى وسمرقند وأعلنوا له الولاء والطاعة[٢].

## ثورة ساغربك فى بلاد ما وراء النهر :

بعد عام واحد من تولى أرسلان خان محمد حكم سمرقند قامت ضده ثورة بقيادة ساغربك أحد الأمراء القراخانيين ، ففى سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٣م نجح ساغربك فى جمع آلاف الأتراك حوله ، وتوجه بهم إلى سمرقند لانتزاع الحكم من أرسلان خان محمد ، الذى سارع للاستنجاد بالسلطان سنجر فى خراسان ، عندما علم بقوة خصمه، وكثرة جنده .

---

(١) البندارى ــ صـ ٢٦٢ ، ابن خلدون ــ العبر ــ جـ٤ صـ٣٩٤ .
(٢) الحسينى ــ زبدة التواريخ ــ صـ ١٨٣ .

وقد استجاب السلطان سنجر له وحضر بنفسه على رأس جيشه، وخاصة أن بلاد ما وراء النهر تابعة له رسميا ـ فتراجع ساغربك خوفا من مواجهة الجيش السلجوقى، وأرسل إلى السلطان سنجر يطلب منه الأمان والعفو عما حدث منه، فأعطاه السلطان الأمان ، بشرط حضوره إليه، فوافق ساغربك وعقد السلطان سنجر الصلح بينه وبين أرسلان خان محمد ، وعاد بجيشه إلى خراسان(١).

إلا أن شهوة الحكم وحب السلطة لعبا برأس ساغربك مرة أخرى، فجمع آلاف الأتراك مرة أخرى سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م، وتوجه إلى سمرقند للسيطرة عليها ، فأرسل أرسلان خان محمد إلى السلطان سنجر يستنجد به، فأرسل له عدة فرق من جيشه انضموا إلى جيش أرسلان خان ، وتوجهوا لقتال ساغربك ، فالتقوا بالقرب من سمرقند فى منطقة تسمى الخشب، وانتصر أرسلان خان ، وقتل الآلاف من جند ساغربك ، الذى فر مع قلة من أصحابه ، ولم تقم له قائمة بعد ذلك، وأمن أرسلان خان شره ، ثم عادت الفرق السلجوقية إلى خراسان مرة أخرى(٢).

وكان لمساعدات السلطان سنجر المتتالية لأرسلان خان محمد آثارا هامة على نظام الحكم فى بلاد ما وراء النهر والدولة القراخانية الغربية ، فقد أراد السلطان سنجر أن تكون تبعية أرسلان خان له فعلية وليست شكلية، أو اسمية، وأن يلتزم بأوامر السلطان سنجر فى كافة

---

(١) ابن الأثير ـ جـ ١٠ صـ ٣٦٧ .
(٢) ابن خلدون ـ العبر ـ جـ ٤ صـ ٣٩٥ .

شئون الحكم ، مما جعل أرسلان خان محمد يضيق ذرعا بهذه السياسة بعد فترة ، بل ويتمرد عليها ، ويهمل أوامر السلطان سنجر، ولا يتقيد بشئ منها ، حتى ما كان منها فى صالح البلاد ، كما غالى فى جمع الأموال من الشعب ، وظلمهم ، بدلا من كسب ودهم لمساندته ضد السلطان سنجر ٠

وقد دفعت هذه السياسة أعيان الدولة وكبارها إلى الاستنجاد بالسلطان سنجر ، الذى جهز جنده فى سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م وتوجه إلى أرسلان خان للقضاء على تمرده ، وإعادته إلى طاعة السلاجقة، أو عزله أن أصر على موقفه ، فلما علم بذلك أرسلان خان محمد تملكه الخوف والرعب من مواجهة السلطان سنجر ، وأرسل سرا إلى الأمير قماج أكبر الأمراء المرافقين للسطان يسأله أن يصلح بينه وبين السلطان، ويعمل على إرضاء السلطان عنه، فتوسط الأمير قماج حتى أجابه السلطان إلى العفو عنه بشرط أن يحضر عنده ، فأرسل إليه أرسلان خان محمد بأنه يخاف من حضوره عند السلطان لسوء صنيعه، ويعترف بخطئه، ولكن يمكنه الوقوف أمام السلطان وبينهما نهر جيحون، وبعد فترة يقوم بزيارة السلطان فى خراسان بعد أن تهدأ ثائرته، وتصفو نفسه تجاه أرسلان خان، فوافق السلطان سنجر على ذلك لرغبته فى العودة سريعا إلى خراسان لوجود بعض الاضطرابات بها ٠

فوقف السلطان سنجر على الشاطئ الغربى لنهر جيحون ، وجاء أرسلان خان إلى الشاطئ الشرقى، فترجل وقبل الأرض أمام السلطان، ثم عاد كل منهم إلى بلاده، والتزم أرسلان خان بطاعة السلطان سنجر[١].

(١) ابن الأثير ــ جـ ١٠ صـ ٤٩٧ .

## نهاية الدولة القراخانية الشرقية :

بعد وفاة طغرلتكين الحسن الخان الأعلى للدولة الشرقية سنة ١١١٣م تولى ابنه الخان أحمد بن الحسن حكم البلاد، وقد تعرضت البلاد فى بداية حكمه لتمرد بعض القبائل المجاورة لهم فى الشمال والجنوب وهجومهم على البلاد القراخانية مثل خوتان وكاشغر، مما أدى إلى حدوث اضطرابات فى البلاد، وعجز الخان الأعلى أو حكام الولايات التابعة له عن صد هجمات هذه القبائل، مما دفع حاكم بلاساغون إلى الاستعانة بالقراخطاى[١].

وقد انتهز القراخطاى الفرصة ، وتوجهوا لمساعدة الحاكم ضد البدو والقبائل التى تهاجمه ، وما أن انتصروا عليهم ، حتى قاموا بعزل الحاكم ، واستولوا على بلا ساغون ، والبلاد التابعة لها ، وجعلوها عاصمة لهم ، ومقرا لحكمهم[٢].

وبدلا من أن يتحد القراخانيون لمواجهة القراخطاى يقوم حاكم ولاية ختن بالتمرد على سلطة الخان الأعلى فى كاشغر، فيقوم الأخير بمحاربته، فيتوجه القراخطاى إلى كاشغر ، ويسيطرون عليها ، ثم يسيطرون على ختن سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م، ويفر الخان الأعلى وحكام المدن إلى تركستان الغربية وبلاد ما وراء النهر لتنتهى بذلك الدولة القراخانية

---

(١) القراخطاى أو الخطاهم شعب خليط من المغول والتانجوت والترك ، كانت لهم دولة فى شمال الصين استمرت مائتى عام تقريبا (٩١٦ - ١١٢٥م) ثم قضى عليها شعب كين فهاجرت أعداد كبيرة منهم إلى إقليم التركستان ، وهاجموا كاشغر ، ولكن الخان الأعلى انتصر عليهم ، وقتل أعدادا كبيرة منهم، وفر الباقون إلى المناطق القريبة من بلاساغون فأقاموا بها. بارتولد ـ تاريخ الترك ـ صـ١٢٢ .

(٢) فامبرى ـ تاريخ بخارى ـ صـ ٤٣١، حافظ أحمد حمدى ـ الدولة الخوارزمية والمغول ـ صـ ٥١ ( دار الفكر العربى سنة ١٩٤٩ ) .

الشرقية، ويقوم القراخطاى بنقل عاصمتهم من بلاساغون إلى كاشغر لقربها من تركستان الغربية التى بدأوا يفكرون فى السيطرة عليها [١].

## نهاية الدولة القراخانية الغربية :

أصيب أرسلان خان محمد الخان الأعلى للدولة الغربية فى أواخر سنوات حكمه سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م بالفالج (الشلل) فانتقلت السلطة الفعلية فى الدولة لابنه نصر خان ، ولكنه تعرض لمؤامرة من قبل بعض أعيان سمرقند، وقاموا بقتله بتحريض من أحد الفقهاء بسمرقند ويسمى حسن الشريف بن محمد العلوى الذى كان يرغب فى أن يكون له الأمر والمشورة أثناء مرض أرسلان خان محمد .

وكان لنصر خان أخ فى بخارى يسمى محمود فأرسل إليه أبوه يستدعيه على عجل، كما أرسل إلى السلطان سنجر يطلب منه المجئ إليه لمساعدته ظنا منه أن ابنه الثانى لن يتمكن من القضاء على المتآمرين ، ولكن ابنه حضر سريعا وألقى القبض على المتآمرين ، وقام بقتلهم ، فندم أرسلان خان على استدعاء السلطان سنجر الذى كان فى طريقه إلى سمرقند، وأرسل إليه يطلب منه العودة، ويعرفه أنه قد ظفر بالمتآمرين ، فغضب السلطان سنجر، وأصر على التوجه إلى سمرقند ، وعندما اقترب من سمرقند قبض على اثنى عشر رجلا كانوا يتسللون بين جنده، فأقروا أن أرسلان خان أرسلهم ليقتلوه فأمر جنده

---

(١) النظامى العروضى السمرقندى ــ جهار مقالة ــ صـ ١٤١ ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط١)؛حافظ حمدى ــ الدولة الخوارزمية ــ صـ ٥٢

بحصار سمرقند، وفتحها عنوة بعد أربعة أشهر، وتحصن أرسلان خان ببعض حصونها ، فمنحه السلطان سنجر الأمان ، ثم أرسله إلى ابنته تركان خاتون زوجة السلطان فبقى عندها إلى أن توفى[١].

وأقام السلطان بسمرقند عدة شهور لإقرار الأمن بها ، وتنظيم إدارتها، ثم أسند حكمها إلى حسن تكين أحد أمراء الأسرة القراخانية، وعاد إلى خراسان .

ولم يلبث حسن تكين أن توفى بعد عدة شهور، فأعاد السلطان سنجر حكمها إلى محمود خان بن أرسلان خان محمد[٢].

وفى عصر محمود خان بدأ القراخطاى الذين أسسوا دولتهم فى تركستان الشرقية هجومهم على بلاد ما وراء النهر والدولة القراخانية الغربية ، وقد انتهزوا فرصة حدوث خلاف بين حكام بعض مدن بلاد ما وراء النهر ورؤساء القبائل المجاورة لها وانحازوا إلى رؤساء القبائل، وتمكنوا من السيطرة على العديد من المدن حتى اقتربوا من سمرقند، فأصيب الناس فيها بذعر شديد ، واشتد خوفهم من هجوم القراخطاى عليهم بين لحظة وأخرى ، فجهز الخان محمود جيشه ، وتوجه لملاقاتهم ، وحدث أول صدام بينهم قرب خجندة ـ شرق

---

(١) الراوندى ـ راحة الصدور ـ صـ٢٥٧ ، الحسينى ـ زبدة التواريخ ـ صـ١٨٣ .

(٢) ابن الأثير ـ جـ١٠ صـ٦٦٢ .

سمرقند ــ سنة ٥٣١هـ / ١١٣٧م، ولكن القراخطاى انتصروا عليه، وانسحب مع من تبقى من جيشه إلى سمرقند[١] .

ولم يواصل القراخطاى توسعاتهم ومطاردة الخان محمود مكتفين بما حصلوا عليه من غنائم كثيرة ، وربما كانوا يرغبون أيضا فى تثبيت أقدامهم فى البلاد التى سيطروا عليها .

وقد أدت هزيمة الخان محمود إلى تمرد كثير من البدو الأتراك القاطنين فى نواحى سمرقند ، وقاموا بمهاجمة البلاد المجاورة لهم، وازداد نفوذهم ، فأرسل الخان محمود إلى السلطان سنجر يستنجد به ضدهم ، فلما علموا بقصد السلطان لهم ، أرسلوا إليه فى طلب الأمان، وبذلوا له خمسة آلاف جمل ، وخمسة آلاف فرس ، وخمسين ألف رأس غنم ، فلم يقبل السلطان منهم ، واستمر فى سيره إلى سمرقند[٢] .

وحينذاك قام رؤساء القبائل بالاستنجاد بالقراخطاى ، فكتب الكورخان (حاكم القراخطاى) إلى السلطان سنجر يستشفعه فيهم ، ويطلب منه أن يعفو عنهم ، فلم يقبل السلطان شفاعته ، وكتب إليه

---

(١) بارتولد - تركستان -صـ٤٧٢،أحمدوف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان صـ١٢٣ .

(٢) الراوندى ــ راحة الصدور وآية السرور ــ صـ٢٦١،الأصفهانى ــ تاريخ دولة آل سلجوق ــ صـ٢٥٣ (دار الرائد العربى سنة ١٩٧٤م) ، الحسينى ــ زبدة التواريخ ــ صـ ١٢٦ .

يدعوه إلى الإسلام[١] ، ويهدده إن لم يجب إليه، ويتوعده بكثرة عساكره، فأدرك الكورخان أن السلطان سنجر قادم إليه، وأن الصدام بينهما أمر لا مفر منه .

واستعد الطرفان للمعركة، فحشد السلطان سنجر ما يقرب من مائة ألف ، وعبر به نهر جيحون في ذى الحجة سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤١م، وانضم إليه الخان محمود بقواته،بينما جهز الكورخان جيشه الذى بلغ ما يقرب من ثلثمائة ألف جندى[٢]،وانضم إليه من البدو القارلوق ما بين ثلاثين أو أربعين ألفا،وعبر بهم نهر سيحون متوجها إلى سمرقند[٣].

وتقابل الجيشان فى صحراء قطوان ــ شمال سمرقند ــ فى يوم الثلاثاء الخامس من شهر صفر ٥٣٦هـ/ التاسع من سبتمبر سنة ١١٤١م، واشتد القتال بينهم ، وكان أشد الطوائف قتالا قبائل القارلوق الذين استنجدوا بالقراخطاى ضد الخان محمود والسلاجقة،وتراجع

---

(١) كان معظم شعب القراخطاى وحكامه يدينون بالبوذية، وكانت هى الديانة الرسمية للدولة.الجوينى ــ جهان كشا ــ جـ ١ صـ ٤٨ (القاهرة سنة ١٩٩١م) .

رحمة الله رحمتى ــ التهجير الصينى فى تركستان الشرقية ــ صـ ٤١ (رابطة العالم الإسلامى سنة ١٩٨٩م) .

(٢) ذكرت بعض المصادر أن جيش القراخطاى بلغ سبعمائة ألف فارس . الأصفهانى صـ ٢٥٤ ، الحسينى ــ صـ ١٢٦ ، ونرى أن هذا الرقم مبالغ فيه وربما أرادوا التهويل فى حجم الجيش الخطائى لتخفيف هزيمة السلاجقة أمامهم، بينما يذكر الذهبى أنهم كانوا مائتى ألف فقط ــ دول الإسلام جـ ٢ صـ ٥٥ .

(٣) ابن العماد الحنبلى ــ شذرات الذهب ــ جـ ٤ صـ ١١١ (دار الفكر سنة ١٩٧٩) .

الجيش السلجوقى والقراخانى إلى وادى ديرغم أمام هجوم القراخطاى، فتبعهم القراخطاى وحاصروهم ، وقتلوا منهم أعدادا كبيرة[١] بالإضافة إلى آلاف الأسرى وعلى رأسهم تركان خاتون زوجة السلطان سنجر ، والأمير قماج وأبو الفضل حاكم سجستان بينما فر السلطان سنجر والخان محمود فى عدد قليل من الجند إلى خراسان[٢].

وقد أدت معركة قطوان إلى خضوع المسلمين فى بلاد ما وراء النهر لحكم القراخطاى ونهاية الدولة القراخانية الغربية سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م ، وولى الكورخان حكاما من قبله على سمرقند وبخارى وباقى مدن بلاد ما وراء النهر، وكان معظمهم من الأمراء القراخانيين أو قادتهم، إلا أنه كان يوجد معهم ممثلا عن الكورخان لجمع الضرائب والجزية، وقد حاول بعض الأمراء القراخانيين إحياء الدولة القراخانية مرة أخرى إلا أنها محاولات باءت بالفشل ، واستمر الحكم الخطائى لبلاد ما وراء النهر وتركستان الشرقية .

---

(١) اختلفت المصادر فى تحديد عدد قتلى المسلمين فيذكر ابن الجوزى وابن الأثير والنويرى وغيرهم أن مجموع قتلى السلاجقة بلغ مائة ألف قتيل. ابن الجوزى ــ المنتظم ــ جـ١٨ صـ١٩ ، ابن الأثير ــ جـ ٩ صـ٢،النويرى ــ نهاية الأرب ــ جـ٢٦ صـ٢٨٥ ، النظامى العروضى السمرقندى ــ جهار مقالة ــ صـ١٠٧ ، د/ حسن إبراهيم حسن ــ تاريخ الإسلام السياسى ــ جـ٤ صـ٩٤ ، ويذكر الراوندى أنه قتل من جيش المسلمين ثلاثون ألف رجل ــ راحة الصدور صـ٢٦٢،ويؤيده فامبرى فى تاريخ بخارى صـ١٤٤، وبارتولد فى تركستان ــ صـ٤٠٧٦ ونرجح ما ذهب إليه الراوندى لأن مائة ألف من القتلى حسبما ورد فى الرواية الأولى رقم مبالغ فيه ، ومعنى ذلك القضاء على الجيش السلجوقى بأكمله .

(٢) الأصفهانى ــ تاريخ دولة آل سلجوق ــ صـ٢٥٤ ، حسن الأمين ــ الوطن الإسلامى ــ صـ٢٣٤ ( بيروت سنة ١٩٩٦م) .

## مظاهر الحضارة فى الدولة القراخانية

### أولا : نظام الحكم

كان زمام الحكم فى الدولة القراخانية فى قبضة الخاقان الأعلى ومقره الدائم فى العاصمة كاشغر ثم بلاساغون إلا أن السلطة كانت لامركزية ،وموزعة بين الأقرباء ورجال الحاشية المقربين ،وكانوا يتمتعون بقسط كبير من الاستقلال وحرية التصرف فى اقطاعاتهم ، وفى النصف الثانى من القرن الحادى عشر م انقسمت الدولة القراخانية إلى قسمين مستقلين خاقانية شرقية فى تركستان وعاصمتها كاشغر وخاقانية غربية فى بلاد ما وراء النهر وعاصمتها سمرقند .

وجرى الاحتفاظ بالكثير من الأنظمة التى كانت متبعة لدى أسلافهم السامانيين،واستخدمت نفس المصطلحات التى كانت سائدة مثل حاجب ،وخاص حاجب ، ووزير، وكان بلاط الخان الأعلى ،وبلاط حاكم الاقطاع يعرف باسم كابوغ[١]، والمشرف على البلاط يسمى كابوغ ــ باشى (رئيس الخلية ) وكان يشرف على شئون خزينة الدولة أغيتشى ( حارس السلع الحريرية ) ورئيس التشريفات يسمى بيروك ، وحرس القصر يسمى أوك ياتشى ورئيس الحرس يسمى ياشغاك وهو المسؤول عن حماية الخان والقصر ، وسياف الخان يسمى جاندار .[٢]

---

(١) كابوغ كلمة تركية معناها خلية أو قشرة أو صدفة . أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان ــ صـ ١٣٠ .

(٢) بارتولد ــ تركستان ــ صـ ٤٦٠ .

وكان الوزراء هم الذين يشرفون على السلطة الإدارية ، واستمرت الدواوين التى كانت قائمة فى عهد السامانيين ،وكان كتاب الدواوين وأمناء السر يحظون بمكانه هامة .

وكان الجيش لدى القراخانيين يعرف باسم بيريك ويقسم إلى مجموعات عدد أفرادها من مائة إلى ألف مقاتل ، وكان القائد العام الأعلى يلقب سوبوشلار( زعيم) أو سيناخسالار ، وكان يطلق على صغار الضباط المشرفين علىالعمليات الحربية فى أثناء القتال لقب تشابوش ، وأما قائد فرقة الفرسان فكان يطلق عليه خيل باشى.

وكانت الأسلحة تتألف من السيوف ( كيليتش) وبلطات الحرب (بالتو) والسهام ( أوك) والدروع ( يوروك) والسياط (كامانتشى) وتروس الحديد ( تيمور كالكان) .

أما السلطة المحلية فى الولايات فقد كانت فى أيدى البكوات، وفى المدن الحكام والرؤساء وفى القرى الشيوخ .

**ثانيا : الحياة الاقتصادية والاجتماعية :**

كان سكان الدولة القراخانية يمتهنون حرفا مختلفة ، فسكان القسم الشرقى كانوا يهتمون برعاية الماشية ،وفى مدن فرغانة وما وراء النهر كانوا يزاولون التجارة ، وفى وديان الأنهار والسهول والمناطق المحيطة بالمدن كانوا يهتمون بالزراعة ٠

وكان الرعاة الرحل يهتمون بشكل رئيسى بتربية الأغنام والأبقار والخيول والإبل ويعتمدون فى حياتهم على ما يحصلون منها من لحوم وألبان وصوف وغيره ٠

وقد ازداد خلال هذا العصر الانتقال من حياة البداوة إلى حياة التمدن نظرا لتطور الزراعة والصناعة والتجارة ٠

وكانت المناطق الزراعية تنتج الحبوب مثل القمح والشعير والحمص والعدس والدخن ،والفواكه والخضار مثل العنب والتفاح والخوخ والمشمش والسفرجل ، والقرعيات مثل البطيخ والخيار والبصل ٠٠٠ الخ ٠

واستمرت الملكية الاقطاعية التى كانت قائمة فى عصر السامانيين، إذا انتقلت الأراضى السلطانية إلى ملكية الخان القراخانى ، أما أملاك وأراضى الأمراء السامانيين وخدمهم فعادت ملكيتها إلى الدولة مباشرة ، وقام القراخانيون بتقسيمها إلى إقطاعات وتوزيعها على القادة والأمراء[١] ٠

---

(١) بارتولد ــ تركستان ــ ص ٤٥٤ ٠

ويبدو أنه لم تكن هناك ضرائب على الأراضى الزراعية سوى الخراج إذ لم تشر المتوافرة لدينا إلى أية ضرائب أخرى ،ولكن قيمة الخراج لم تكن محددة فكانت معتدلة فى بعض العصور ، ومرتفعة فى عصور أخرى ٠

وقد ازدهرت وتطورت الصناعة والتجارة فى مدن الدولة القراخانية ،وكان عددها كبيرا فمثلا بلغ عدد المدن من تاراز ــ فى شرق تركستان ــ حتى أترار مائة وثلاثين مدينة ،وبلغ عددها على الضفة الشمالية لنهر سيحون أثنتى عشرة مدينة أشهرهم أوزكند ،وبلغ عدد مدن أعمال طشقند خمسين مدينة أهمهم اسفيجاب وبينكث ،وبلغ عدد مدن فرغانة تسع وثلاثين مدينة ،ومدن أعمال بخارى تسع وعشرين مدينة ٠٠٠ الخ [١].

وأدى موقع العديد من هذه المدن على طريق الحرير ــ الذى يربط الصين بأوربا ــ إلى ازدهار الصناعات والتجارة فيها بل وفى القرى التابعة لها أيضا ٠

فازدهرت صناعة الخزف والنسيج والحدادة والصياغة وغيرها وساعد على ذلك توافر الخامات فى البلاد ،فكانت جبال تالاس غنية بخامات الحديد والنحاس والذهب والقصدير والنفط ،وكانت وديان تالاس مركزا ضخما لإنتاج الفضة والرصاص ،وكانت جبال فرغانة مناجم لاستخراج الذهب والفضة والنشادر والزئبق والحديد والنحاس، كذلك كانوا يستخرجون الفيروز والحديد والقصدير من جبال طشقند ٠

---

(١) محمود شيت خطاب ــ بلاد ما وراء النهر ــ ص ٧ وما بعدها ٠

وقد اكتشف علماء الآثار بقايا المعادن المنصهرة وورشات تعدين فى منطقة تشات قلعة بالقرب من جبال تالاس ،وورشات لصناعة الزجاج فى سمرقند وأوزكند ٠

ومارس سكان القرى حرفة الصناعة إلى حد ما وخاصة من الخامات الزراعية والحيوانية وكانت منتجاتهم تزيد عن حاجتهم فكانوا يبيعونها فىالمدن ، أو يصدرها التجار إلى البلاد الأخرى [١]٠

وكانت الطبقة السائدة فى المجتمع القراخانى تتألف من الخانات والأمراء وكبار رجال القصر بالإضافة إلى السادة الاقطاعيين ووجهاء القبائل وشيوخها ،وكان المجتمع ينقسم إلى طبقة الأغنياء ( بايلار) والمتوسطة ( أورتا) والفقراء ( تشيغايلار) وهم القسم الرئيسى المنتج فى الدولة ٠

وكانت هناك طبقة من الناس لا تجيد مهنة معينة ،وتعيش بواسطة فرص العمل التى تتاح لها مصادفة أو فى المناسبات ، وكانت غالبية العاملين فى ميدان الزراعة يزرعون بموجب المشاركة أو المحاصصة، وتعتمد فىعيشها بصورة رئيسية على فلاحة أراضى غيرهم مقابل الحصول على حصة معينة من المحصول ،وهذا بالإضافة إلى طبقة العبيد أو الرقيق [٢] ٠

---

(١) ايرين فرانك ــ طريق الحرير ــ ص ٢٨١ ( المجلس الأعلى للثقافة سنة ١٩٩٧م) ٠

(٢) أحمدوف ، منوروف ــ العرب والإسلام فى أوزبكستان ــ ص ١٢٨ ٠

وكما هو مألوف فإن المصادر لا تتحدث كثيرا عن وضع الطبقة الكادحة وعامة الناس إلا إذا كان لها مشاركة فى الحياة السياسية مثل قيامهم بالثورات ضد ظلم بعض الحكام أو جامعى الضرائب ،وقد قام الشعب القراخانى بثورة فى بلاد ما وراء النهر فى عصر إيلك خان بورتكين سنة ٤٣٢هـ /١٠٤٠ م احتجاجا على فرض الضرائب الباهظة ونجح الايلك فى تهدئتها بعزل عمال الضرائب، وتخفيفها على الشعب ،وتثبيت قواعد النظام والأمن بأراضيه ، فكان أدنى اعتداء على أملاك الغير يلقى جزاءا صارما ،وقد حدث ذات مرة أن كتب بعض اللصوص على باب قلعة سمر قند: " نحن كالبصلة ، كلما نقطع تكبر رؤوسنا " فأمر الخان بأن يكتب تحت ذلك " وأنا كالبستانى كلما ارتفع لكم رأس اجتثثته " .

كما حرص الخان على حماية مصالح عامة الناس من جشع التجار فقد اشتكى إليه القصابون ( الجزارون) من أن أسعار اللحم ضئيلة بدرجة لا يربحون معها شيئا ،والتمسوا منه رفعها عارضين فى مقابل ذلك دفع ألف دينار إلى الخزينة ، فقبل الخان وأحضر القصابون المال إلى الخزينة،ورفعوا أسعار اللحم ، فمنع الخان الناس من شراء اللحم ومهددا إياهم بعقوبة الموت . فتعرض القصابون لخسائر فادحة وفى كل حى من أحياء المدينة اشترك خمسة أو ستة من الرجال فى شراء رأس من الضأن فاقتسموا لحمه بينهم ،وانتهى الأمر بأن اضطر القصابون مرة أخرى إلى دفع مبلغ من المال ، ولكن بغرض

إرجاع الأسعار إلى ما كانت عليه ، وقال الخان فى هـذا الشـأن " لا يجوز أن أبيع رعيتى بألف دينار" [١] .

إلا أن خلفاءه لم يستمروا على هذه السياسة مما دعا الشعب للقيـام بثورات أخرى كما حدث فى عصر الخان أحمـد بـن خضرخـان ، وانضم الى الشعب علماء الدين وبعض قادة الجيش ،وقبضـوا علـى الخان وقتلوه سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م[٢] .

(١) بارتولد ــ تركستان ــ ص ٤٦٠

(٢) ابن الأثير ــ حـ ١ ص ٢٤٣ .

**ثالثا : الحياة الثقافية والدينية :**

يعتبر عصر الدولة القراخانية عصر تدهور ثقافى بالقياس للدولة لسامانية لطبيعة الدولة العسكرية كما يغلب على الحكام والأمراء لطابع البدوى بالإضافة إلى غلبة النظام الإقطاعى الذى لا يهتم كثيرا بالنواحى العلمية .

ولذلك اعتمد المؤرخون المسلمون والأوربيون على المؤلفات التى تم تدوينها بخراسان وفارس ليتمكنوا من تتبع الأحداث فى بلاد ماوراء النهر خلال العصر القراخانى،وخاصة مؤرخى الدولة الغزنوية .

أما المؤرخين الذين عاشوا فى الدولة القراخانية فلا نعرف عنهم سوى عناوين مؤلفاتهم التى لم تصل إلينا ، وأهمهم مجد الدين محمد بن عدنان الذى ألف كتاب تاريخ تركستان الذى أهداه للخان طمغاج خان إبراهيم ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م ، وذكر فيه أمم الترك وغرائب تركستان، ومحمد بن على الكاتب السمرقندى الذى ألف كتاب نماذج السياسة فى أهداف الرئاسة، ويتحدث فيه عن سير الملوك القراخانيين وأخبارهم [١] .

ومن المعاصرين لهم أيضا أبو الفتوح عبدالغفار بن حسين ألمعى الذى عاش فى مدينة كاشغر فى القرن الخامس الهجرى ،وله كتاب فى تاريخ كاشغر ،وكتاب بعنوان معجم الشيوخ [٢] .

وكانت اللغة الفارسية هى لغة العلم والثقافة والدواوين،واللغة التركية هى لغة الشعب وعامة الناس [٣]

---

(١) حاجى خليفة ــ كشف الظنون ــ حـ ١ ص ٢٨٩ ــ ٢٩٢ ( دار الفكر )
(٢) بارتولد ــ تركستان ــ ص ٨٢ .
(٣) البيهقى تاريخه ص ٧٨ ، ايرين فرانك ــ طريق الحرير ــ ص ٢٧٥ .

وتمتع علماء الدين المسلمون وخاصة الفقهاء والمحدثين بنفوذ كبير فى الحياة الاجتماعية والسياسية ،وذلك بسبب روح التدين الشديدة لدى الخانات حتى أن الخان طمغاج خان إبراهيم لم يكن يأخذ مالا من أحد ( أى لا يفرض ضرائب جديدة) حتى يستفتى الفقهاء ، وبلغ من توقيره لرجال الدين أنه لما قال له أحد الفقهاء ويسمى الخطيب أبو شجاع " أنت لا تصلح للملك " فأغلق طمغاج بابه ، وعزم على ترك الملك ، فاجتمع عليه أهل سمرقند وقالوا له : قد أخطأ هذا الواعظ والقيام بأمور الرعية فرض عليه ،فتراجع عن عزمه [١].

إلا أنه حدث أحيانا صدام بين الحكام والعلماء ، كما حدث فى عصر أحمد خان ت سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م الذى قام بقتل أبى أحمد نصر بن سليما ن الكاسانى أحد الفقهاء ، وكان يشغل منصب قاضى القضاة ، وتصاعد عداؤه للعلماء حتى اتهموه بالزندقة ،وحرضوا قادة الجيش على قتله ــ كما سبق وذكرنا.

واهتم العديد من الحكام القراخانيين ببناء المساجد فى كافة مدن الدولة ومحاربة أهل الإباحة والبدع ، كما حاربوا دعاة الاسماعيلية وقضوا عليهم حينما حاولوا نشر دعوتهم فى تركستان وبلاد وما وراء النهر .[٢]

وظهرت بعض الملاحم الشعرية فى العصر القراخانى بسبب اهتمام بعض الخانات بالشعر والشعراء وإغداق الأموال عليهم [٣] .

---

(١) ابن الأثير حـ ٩ ص ٣٠٠ .
(٢) ابن الأثير ــ حـ ٩ ص ٥٢٤ .
(٣) بارتولد ــ تركستان ــ ص ٤٥٩ .

## ملحق رقم ١

## رسالة من السلطان مسعود الغزنوى إلى قدرخان حاكم الدولة القراخانية سنة ٤٢١ هـ (تاريخ البيهقى صـ ٧٨)

بعد الصدر والدعاء . يعلم الخان أن العظماء وملوك الدهر عندما يتصادقون وتتوثق بينهم صلات المودة ، تقوى بينهم رابطة الإخاء والوفاق ، ويعامل بعضهم بعضاً بالود ، ويبلغ لطف تلك الأحوال بينهم إلى درجة تجعلهم يقابلون[١] بعضهم البعض مقابلات أخوية ، ويقومون فيها بشروط الممالحة[٢] ، ويتعهدون – فى آداب لا حد لها – بتنفيذ المواثيق والعقود التى أبرموها ، حتى يتقوى بين الأسرتين أواصر القربى وتزول عنهما جميع بواعث الغربة ، وهم يفعلون كل ذلك حتى إذا ما لبوا نداء الله وارتحلوا إلى الدار الآخرة وتركوا سرير الملك يكون أبناؤهم المستحقون للملك ممن يخلفونهم ناعمى البال فى أيامهم ، ولا يتسنى لأعدائهم أن ينتهزوا فرصة أو يقصدوا شيئاً أو يبلغوا مراداً .

وغير خاف على الخان كيف كانت سيرة والدنا السلطان الماضى ، فقد بلغت أبعد حد فيما ينبغى للملوك العظام ، إذ أن الحشمة والكمال والعظمة والجلال التى كان يزدان بها والدنا معروفة لا تحتاج إلى بيان ، كما أنه يعلم ما تحمله العاهلان الراحلان[٣] من المتاعب الكثيرة حتى تمت مثل تلك الألفة والتوافق والصداقة والمشاركة وكيف تمت مقابلتهما على باب سمرقند فى ود وصفاء مما عرفه الدانى والقاصى والعدو والصديق ، وسيخلد التاريخ كل ذلك ومن المؤكد أن القصد من كل تلك

---

[١] يشير إلى المقابلة الودية التى تمت بين السلطان محمود وقد رخان على باب سمرقند ، وقد وصف الكرديزى فى كتابه هذه المقابلة (زين الأخبار طبع طهران ص ٦٥) غنى – فياض حاشية (٣)

[٢] يقصد بالممالحة المشاركة فى الخبز والملح .

[٣] يقصد ما كان بين السلطان محمود وطغان خان أخى قد رخان الذى كان ملكا على التركستان قبل أخيه . غنى – فياض حاشية ١ .

المتاعب التى احتملوها هو أن يسعد أبناؤهم بهذه الألفة فيجنوا ثمار تلك البذور التى زرعها أباؤهم . فاليوم وقد صار إلينا الملك ، وتم على يدنا ما لا يخفى على الجانبين، فإن العقل يدعونا والتجارب تقتضينا أن نبذل الجهد حتى تصبح تلك الصداقة الأكيدة فى الود أكثر رفعة مما كانت ، حتى تطيب بذلك نفوس الأصدقاء من الجانبين وتنتهى حياة الحاسدين والأعداء ، وتموت بها فى عمى وخذلان ، ويتحقق للعالم أن الأسوتين كانتا واحدة وأنهما اليوم أحسن وداً مما كانتا عليه . ونرجو التوفيق الأصلح من الله تعالى فى هذا الباب لأنه الموفق لعباده "وذلك بيده والخير كله" .

ولعل الخان أدام الله عزه قد عرف أننا عند وفاة والدنا كنا بعيدين عن حاضرة الملك ، وقد استولينا على أراض فسيحة من العالم تبعد ستمائة فرسخ أو سبعمائة . وكانت أمامنا ولايات عظيمة تمنى أهلها أن تسمى بلادهم باسمنا وتزدان بحكمنا ، وهم يدعون الله ليكونوا من رعايانا ، وأن أمير المؤمنين أعزنا كثيراً بتأييده وولانا بالمكاتبة حتى نسارع فنذهب إلى مدينة السلام لنطهر مركز الخلافة من فرقة الأذناب[1] ونزيل عنها هذا الإثم .

وكنا قد عقدنا النية على القيام بما يشير إليه الأمر العالى لكى نسعد بشرف لقاء أمير المؤمنين ، بيد أنه بلغنا أن والدنا قد انتقل إلى جوار ربه ، وأن الموالى والحشم قد انتهزوا فرصة غيابنا واستقدموا أخانا من جوزجان وأجلسوه على سرير الملك ، وسلموا عليه بسلام الإمارة وقصدوا بذلك تهدئة الحال لأننا كنا بعيدين .

إن والدنا مع ما كان عليه من العظمة والرفعة رغب عنا فى أواخر أيام حياته، وأساء الظن بنا ، ولم تكن هذه الظاهرة خاصة به بل هى تظهر عادة فى أواخر أيام

---

[1] يقصد أسرة الديالمة . وكان الأمير الديلمى فى بغداد فى هذه السنة : جلال الدولة أو طاهر بن بهاء الدولة . (أبو الفدا ، ج٢ ص ١٥٦) . غنى - فياض حاشية ٥ .

الملوك بالنسبة إلى ولاة العهد ، ليقينهم أن هؤلاء سيحلون محلهم ، فبقينا فى الـــرى . وكان معلوماً أن تلك البلاد تنتهى من جهة بالروم ، ومن جهة أخرى إلى مصر طـــولاً وعرضاً ، وكلها تزدان بحكمنا ، ونفوض أمر بقية البلاد من غزنة إلى الـــهند ومـــا حولها إلى أخينا ، ليكون خليفتنا عليها ، ولا يبقى للغير طريق للتدخل بيننا . فأرســلنا من قبلنا رسولاً ليبلغ أخانا التعزية بوفاة الوالد والتهنئة بالجلوس على سرير الملـــك ، وحملنا الرسول مشافهات فيها إصلاح ذات بيننا ، ولتستقر أحوال آلاف الألوف مـــن الناس الذين يعيشون فى خراسان والعراق ، وقد صرحنا بأن أمامنا بـــلاداً مترامية الأطراف يجب الاستيلاء عليها وضبطها بأمر من أمير المؤمنين ، فينبغـــى الوفـــاق والتساند بين الأخوين ، وإزالة كل أسباب الفرقة والخلاف ، لكى يتم على أيدينا ما هو جدير بصلاح العالم . إلا أنه يشترط أن يرسل إلينا من مخازن الحرب خمســـة آلاف من الإبل محملة بالأسلحة والمعدات الكاملة ، وعشرين ألفاً من خيل الركوب مع ألفـــى غلام تركى ، وذلك بأسرع وقت مجهزين بكامل العدة ، ومعها خمسمائة مـــن الفيلـــة المختارة الخفيفة الحركة ، وأن يعتبر الأخ نفسه خليفتنا ، فيذكر اسمنا فى الخطبة أولاً ويكون اسمه من بعدنا ، وكذلك الحال فى النقود والأعلام وطراز الألبسة فينقش عليها اسمنا أولاً ومن بعده اسمه ، وأن يتم اختيار القضاة وأصحاب البريد الذيـــن ينـــهون الأخبار من جانبنا ، حتى نصدر ما ينبغى لصالح الإسلام من الأوامر اللازمة ، فنبادر إلى العراق وغزو الروم ؛ ويكون فى حوزته الهند وغزنة ، حتى نؤدى ما علينا مـــن فرائض لسنة نبينا صلوات الله عليه ، ونحافظ بذلك على سيرة آبائنا أيضـــاً ، ونبقـــى مثلاً صالحاً يحتذيه أعقابنا ، كما صرحنا بأنا سنضطر إلى إهمال ما فى أيدينـــا مـــن البلاد وتركه والسير إليكم إذا ما تبين أنكم تقضون الأوقات فى التسويف وأنكم لســـتم مستعدين للقيام بما طلبنا العمل بموجبه ، فنتجه إلى قاعدة الملك لأنها الأصل أما الباقى ففرع ، فإذا ثبت وجود الأصل تيسر لنا الاحتفاظ بالفرع كذلك . وأى خلاف يحـــدث بيننا والعياذ بالله سيؤدى إلى إراقة الدماء يقع وزره على مسببه ويعود عليـــه . وإنـــا

لكوننا ولى عهد الوالد ونراعى هذه المجاملة سوف يعرف العالم أننا قد أدينا حق الإنصاف تماماً .

ولكن بعد أن وصل رسولنا إلى غزنة وجد أخانا مأخوذا بعزة الملك وأبهة السلطان ، ماداً يده إلى الخزائن يبدد ما فيها ، صارفاً ليله ونهاره فى اللهو والشراب كما أن الذين استولوا عليه [١] لم يرغبوا فى استقرار الملك لمستحقه ، كيلا يعاملهم بما يستحقون فحملوا أخانا على أن يرد رسولنا ، وسيروا معه رسولاً بتضليلات وتقولات: ( بأنه ولى للعهد وأن أبانا قد عهد إليك بملك الرى ليقتصر كل منا على ما فى حوزته بعد وفاة أبينا ؛ ولو أن أخانا يقنع بما فى يده [٢] من البلاد فسنرسل له ما يطلب منا من الغلمان والفيلة والخيل والجمال والسلاح ، بشرط ألا يسير إلى خراسان ولا يحدث نفسه بأننا خليفة له . وأن لا يكون اختيار القضاة وأصحاب البريد بيده ) .

فلما وجدنا إجابته على هذا النحو تأكد لنا أنه ليس بمنصف [٣] ، ولا يتبع الطريق السوى ، فسرنا فى نفس اليوم من إصفهان ، فى حين أننا كنا عازمين على الرحيل إلى همدان وحلوان وبغداد .

أما الحاجب غازى فقد أعلن أمرنا فى نيسابور وغير الخطبة ، فدخل فى طاعتنا الرعية والأعيان من تلك النواحى . وجهز جيشاً كبيراً مزوداً بكامل العدة والسلاح . ثم أطلعنا أمير المؤمنين على عزمنا وطلبنا منه أن يرسل إلينا عهد خراسان وجملة مملكة أبينا مع كل ما فتحناه من الرى والجبال وإصفهان وكل ما نوفق إلى

---

[١] التعبير الفارسى : دت بررك وى نهاده بودند بمعنى التسلط . ونظيره ما يقال اليوم : رك خواب كسى رابيدا كردن . غنى – فياض حاشية ٣

[٢] استخدم النص كلمة ( نهاد ) بقصد الإقرار والمواضعة . غنى – فياض حاشية ٤

[٣] النص الفارسى : أنصاف نخواهد بود ، غنى – فياض حاشية ٤

فتحه بعد ذلك . ومع كوننا على الحق فقد طلبنا ذلك ليكون عملنا مطابقاً لما يأمر بـــه الشرع .

وبعد أن بلغنا نيسابور بلغها رسول الخليفة يحمل إلينا العهد واللواء والنعـــوت والكرامات التى لم يكن لملك عهد بأمثالها . ومن المصادفات النادرة أن وفد فى تلـــك الأثناء المقدم على عبد الله وأبو النحم إياز ونوشتكين الخادم الخـــاص مـــن غزنـــة ، يصحبهم جمع كبير من خاصة الخدم . كما وصلت إلينا رسائل سرية من غزنة تقـــول إن زعيم الحجاب على بن إيل أرسلان والحاجب بكتغدى[١] أمير الغلمان قد دخلوا فـــى الطاعة ، كما كتب أبو على الكوتوال وجماعة المقدمين يبدون الطاعـــة والعبوديـــة ، وأضاف الكوتوال أبو على أن أخانا لم يستطع القيام بأعباء الملـــك ، ومـــا أن تصـــل راياتنا حتى يبادر الجميع إلى إظهار العبودية .

وقد أمرنا أن يكرموا وفادة هؤلاء الجماعة الذين جاءوا من غزنـــة ، وكتبـــوا لأعيان غزنة ردوداً لطيفة . ثم رحلنا من نيسابور . وبعد إثنى عشر يوماً من حلـــول العيد جاءت الرسائل من الحاجب على قريب وأعيان الجند الذين كانوا فى تكينا باد مع أخينا ، تفيد أنهم اعتقلوه بقلعة كوهتيز حينما بلغهم خبر مسيرنا من نيسابور .

وقد وصل منكيتراك أخو الحاجب على والفقيه أبو بكر الحصيرى إلى هـــراة وشرحا لنا كل الأحوال تماماً ، واستطلعا رأينا ليعملوا حسبما نصدر إليهم من أوامر.

فأصدرنا الجواب وأملّنا عليا وجميع الأعيان وكافة الجند ، وأمرنا أن يحافظوا على أخينا فى القلعة على سبيل الاحتياط وأن يحضر علىّ وكافة الجند إلى الحضرة.

---

[١] بضم التاء مكون من بك بمعنى كبير ، تغدى بمعنى ابن وذلك فى التركية : غنى - فياض حاشية١

ثم وصلت الأفواج تباعاً إلى هراة ، وتوحد الجيشان وهدأت أحوال الرعية والجيش ، واستقرت على طاعتنا والعبودية لنا ، وسارت الرسائل إلى الرى وإصفان وجميع أنحاء البلاد بما تم فى ذلك الوقت ، حتى يتأكد للجميع من قريب وبعيد أن الأمور استحالت إلى وجه واحد قولاً وعملاً ، وزالت أسباب الفتن والخصومات ، كما أوفد رسول إلى حضرة الخلافة وكتب رسائل فى معنى هذه الأحوال ، والتمست الأوامر العالية فى كل باب . كما أبلغنا ابن كاكو وغيره من قواد الرى والجبال حتى عقبة حلوان بكل ذلك ، وصرحنا بأناعازمون فى التو على إيفاد قائد كبير يضبط ما استولينا عليه من البلاد ويفتح غيرها ، حتى لا تحدثهم أحلامهم بأنا سنهمل أمر تلك الديار .

وقد حضر لدينا الحاجب الفاضل العم آلتونتاش خوارزمشاه ، ذلك الناصح الذى لم يستمع القوم فى غزنة إلى نصحه الصادق إبان غيبتنا ، وقد أعيد ، وسوف يصل مصحوباً بالتجلة والاحترام كما تقتضيه أحواله ومنزلته وصدقه . وسنرحل فى غضون هذا الأسبوع . فإن جميع الأحوال قد استقرت ، وأذعن لطاعتنا العالم ، وقد أرسلت رسالة سلطانية ليأتى إلى بلخ الخواجة الفاضل أبو القاسم أحمد بن الحسن الذى كان معتقلاً بقلعة جنكى [١] مصحوباً بالعناية والعطف البالغ ، وتقطع عنه يد المحنة وتزدان دولتنا بحسن تدبيره وصائب رأيه .

كما أمرنا أن يحضر أريارق الحاجب قائد الهند إلى بلخ . ثم وصلت إلينا رسالة أبى على الكوتوال من غزنة تفيد بأنه قد سلم معتمدينا جميع الخزائن من دينار

---

[١] سبق هذا الاسم فى ص ٦٤ على أنه حارس القلعة التى اعتقل بها أحمد حسن ، وهنا نسبت إليه القلعة لأنه حارسها ، والمقصود أن أحمد حسن كان معتقلاً فى قلعة يحرسه بها جنكى . وانظر غنى – فياض حاشية ٤ .

ودرهم وشتى أصناف النعم والألبسة والأسلحة ، ولم يبق شيء من أسباب الخلاف التى تقلق البال والحمد لله ، واستقرت الأحوال على أحسن ما يرام .

وحيث أن الأمور تمت على هذا المنوال آثرنا أن نبشر الخان ليطلع على كل ما جرى وينال نصيبه من السرور ، وليقوم بإذاعتها وإعلانها إلى كل من حوله فى تلك البلاد فيعرفها القاصى والدانى ، وليدرك أن ما يسرنا يسركم ، لأن أسرتينا اسرة واحدة ، وقد عين على أثر ذلك أبو القاسم الحصيرى ، وهو من جملة ثقاتنا وأبو طاهر التباتى[1] من أعيان القضاة لحمل الرسالة ، ليأتيا إلى تلك الديار الكريمة حرسها الله لتجديد العهود . ونحن الآن فى انتظار جواب هذه الرسالة بأسرع ما يمكن ، حتى نرتدى لباس الحبور بتجديد البشائر عن سلامة الأمور وسيرها على ما يرام ، فإن ذلك من أكبر المواهب علينا بمشيئة الله عز وجل وبإذنه .

---

[1] فى حاشية يب : تقرأ كلمة تبانى بضم التاء وتخفيف الباء وهى نسبة إلى بلد فى ما وراء النهر ، ولكن السمعانى يقول إنها بفتح التاء وتشديد الباء ، بمعنى بائع التبن ، غنى - فياض حاشية ١ .

## ملحق رقم ٢

## نص الكتاب إلى أرسلان خان حاكم الدولة القراخانية من السلطان مسعود الغزنوى سنة ٤٣١ هـ . ( تاريخ البيهقى صـ ٦٩٧ )

بسم الله الرحمن الرحيم . أطال الله بقاء الخان الأجل الحميم ، هذا كتاب منى إليه برباط كروان على سبع مراحل من غزنة ، والله عز ذكره فى جميع الأحوال محمود ، والصلاة على النبى المصطفى محمد وآله الطيبين ، وبعد فإنه لا يخفى على الخان أن لله تقادير كالسيف البتار الذى لا يستطاع إدراك سيره ومضائه ، ولا يستطاع تدارك ما يأتى به القدر ، وهذا هو سر عجز الإنسان فى كل وقت عن معرفة ما تلد حبالى الليالى ، و العاقل من يستسلم لأمر الله وقضائه ولا يعتمد على ما له من الحول والطول والعدة ، فيسلم أمره لربه ويعرف أن ما يصيبه من خير أو شر إنما هو بإذنه، وأن منه النصر وأنه ينصر ويعز من يشاء ، فإنه لو أنكر التوكل لحظة وسلك طريق التكبر والبطر يقع فيما لا يمر بخاطر ومالا تصل إليه الأوهام ويسقط عاجزاً . وإنا نطلب إلى الله تعالى ، فى رغبة صادقة ونية خالصة واعتقاد تام ، أن يعيننا ويأخذ بيدنا فى السراء والضراء والشدة والرخاء ، وألا يتخلى عنا ساعة بل لحظة ، وأن يلهمنا تقدير النعم وإدراك الشدائد ، لنشكر ولنصبر ولنستمسك بعروته الوثقى فإن النعمة تزداد بالشكر والثواب يحصل بالصبر إنه سبحانه خير موفق ومعين .

إن الخان قد اطلع على كل ما مر بنا منذ قرابة سنتين ، حين رفعنا علمنا على خراسان ، مما نحب ومما نكره ، من اليسير والعسير ، وقد حفظ الخان العهد معنا فى الشدة والرخاء ، فإن شرط الود الخالص بين الأصدقاء هو أن لا يخفى بينهم شىء صغر أو كبر . وقد بعثنا آخر كتاب مع فارس شبيه بالرسول من طوس على سبع مراحل من نيسابور ، وبينا فيه أننا أقمنا هناك مع الجند ، فهناك الثغور بجوانب سرخس وبارود ونسا ومرو وهراة حتى نرى ما يقتضيه الموقف وماذا سيعمل هؤلاء

الأدعياء الذين وقعوا على أطراف الوديان ، وبعد سفر الرسول أقمنا ستة أيام ثم اقتضى الأمر أن نسير إلى جانب سرخس فلما بلغناها غرة رمضان وجدناها خرابا بلقعا بحيث كانت الذرة من الحشائش مثلا تشترى بدينار ولكنها لا توجد وبلغ الغلاء إلى درجة أن الشيوخ الكبار كانوا يقولون إنهم لا يذكرون غلاء فاحشا كهذا فى المائة سنة الماضية ، كان المن من الدقيق يباع بعشرة دراهم إذا وجد ، ولم يكن أحد يرى الشعير والتبن مما آذى الفرسان والجند كثيراً بحيث تعرض رجال خاصتنا مع ما لهم من وافر الدواب والعدة لمصائب لا تحد ، وهذا يبين إلى أى مدى من الضيق كان حال أتباعنا وصغار الناس عندنا . وقد بلغ الأمر إلى حد أنه كانه فى كل وقت وفى كل مناسبة لجاج وخصومات بين فرق الجند والسرائيين بشأن القوت والعلف والدواب ، وكان هذا اللجاج يتعدى حدود القول إلى السيف ، وأكد لى ثقاتى الذين أستشيرهم فى مهام الأمور ، تصريحا وتلميحا ، بأن الصواب أن نسير إلى هراة فإن العلف هناك وفير ، وهى قريبة إلى كل ناحية ، هى واسطة خراسان ، وكان الخير فيما قالوا ولكنا عاندنا وأصررنا ولأن الموقف كان لا يزال حرجا مع الأدعياء فقد رأينا أن نذهب إلى مروحتى ينجلى الموقف ، ولأن القضاء كان يسوقنا وكان لابد لنا من معاناة ما وقع ، فقد سرنا إلى مرو وكأن القلوب شاهدة على أن السير إليها ليس من الصواب فى شىء. وكان الطريق غير ما كنا نتوقع من الافتقار إلى العلف والماء ومن شدة الحر ووعورة المسالك ، وحدثت مشاحنات خطيرة بين فرق الجيش فى المراحل الثلاث أو الأربع التى قطعناها بشأن وقت القيام والعلف والدواب والغذاء وغيرها وكان الأعيان المقامون فى القلب والميمنة والميسرة وغيرها من المواضع يعملون على تهدئة هذه المشاحنات ، ولكن الأمر كان قد تجاوز الحد ، فلم تخمد الفتن وازدادت كل يوم بل كل ساعة ، حتى كان يوم كذا عند صلاة العصر حين ارتحلنا من مرحلة كذا قلصدين مرحلة كذا إذا بفوج من الأعداء يبرز على حافة الطريق ، فانقضوا علينا وأرادوا أن ينهبوا شيئا من عندنا ، فردهم رجالنا ولم يمكنوهم من شىء ، وقد استمرت هذه

المناوشات حتى صلاة المغرب ، وكان الجيش مستعداً للمغالبة والقتال ، ولكن الحرب لم تكن شديدة لأن الأعداء كانوا يتجنبون أن تصيبهم السنان ، فلم يحدث اشتباك ولو أخذ الجند الأمر على محمل الجد لطارد المبارزون الأعداء من كل جانب . وفى المساء نزلنا فى محلة كذا ، ولم يكن فى الجيش فتنة ، ولم يقتل كبير من القادة ، وكنا نعد العدة من الدراجة والطليعة حتى لا نفاجأ فى ظلام الليل ، وعلى هذا النحو سارت الأمور فى الغداة حتى اقتربنا من مرو . وفى اليوم الثالث تحرك الجيش وهو أكثر استعداداً وأتم تعبئة على الرسم فى مثل هذه الأحوال ، وقال لنا الأدلاء إن المياه الجارية على مسيرة فرسخ واحد من قلعة داندقان ، فلما بلغنا هذه القلعة فى رائعة النهار وجدنا الأعداء قد ردموا الآبار التى عند المدخل وجعلوها قبوراً ، حتى يستحيل النزول إلى مياهها . فصاح الرجال من قلعة دندانقان بأن بالقلعة خمس آبار تكفى لمد الجند بالماء ولو نزلنا بالقلعة فإن أهلها ينظفون الآبار الكائنة خارجها بحيث يصبح الماء متوفراً ولا يحدث أى خلل ، وكان اليوم شديد الحرارة وكان الصواب أن ننزل بالقلعة ، ولكن لم يكن من وقوع القضاء مفر فسرنا من هنالك وابتعدنا أكثر من فرسخ فوجدنا أنهاراً جافة ، وأحواضاً صغيرة ناضبة ، وحار الأدلاء الذين ظنوا أن هناك ماء ، فإن أحداً لا يذكر أنه رأى هذه الأنهار جافة ، فلما افتقدنا الماء ولم نجده استولى الهلع على الجند واختل النظام وعدا علينا الأعداء من جميع الجهات عدواناً شديداً ، بحيث اقتضى الأمر أن نخرج بأنفسنا من القلب لنتقدم الجيش ، وحملنا على العدو حملة صادقة ، وكنا نحسب أن كراديس الميمنة والميسرة لم تزل فى مواضعها ، ولم نكن نعلم أن فوجاً من غلمان السراى من ذوى النجائب قد ترجلوا وخطفوا الخيول من كل من قابلوه من الفرسان ليركبوها ويتقدموا للحرب ، وقد بلغ اللجاج فى الاستيلاء على الخيل وإنزال بعضهم بعضاً عنها إلى القتال عليها والتخلى عن أماكنهم فى الصفوف ، واغتنم الأعداء هذه الفرصة ، وتحرج الموقف ، ولم يكن بد من ترك آلاتنا وأمتعتنا فضاعت واشتغل الأعداء بها ، أما نحن فسرنا فرسخاً حتى بلغنا حوض ماء

كبير راكد ، وهناك جاء أولياؤنا وحشمنا من الأخوة والأولاد والعظماء والخدم بسلام ، بحيث لم يصب أحد من الأكابر وقد أشاروا علينا بوجوب المسير ، لأن تدارك ما كنا فيه مستحيل ، فاستصوبنا هذا الرأى وسرنا حتى بلغنا قصبة غرجستان فى اليوم الثامن فأقمنا بها يومين حتى وصل غلمان السراى وجملة الجند ، ولم يتأخر عن اللحاق بنا واحد من أصحاب الشهرة . وتخلف جماعة من الرجالة وصغار القوم الخاملين وسونا من غرجستان عن طريق رباط بزى وجبال هراة وجانب غور فنزلنا فى قلعة أبى العباس أبى الحسن خلف وهو من عبيد الدولة ومن مقدمى الغور ومن هناك استرحنا ثلاثة أيام ومن هناك بلغنا هذا الرباط (رباط كروان) وهو على ستة فراسخ أو سبعة من غزنة ، ورأينا أن نكتب إلى الخان ولو أن كتابتنا ستقلق باله فإن ذلك أفضل من أن يسمعه من غيرنا ، فالذى لا شك فيه أن الأعداء سيبالغون فى روايتهم ويطنبون فى وصف الحادث ، فإن هذا الخلل الذى أصاب جيشنا كان مقدراً وقوعه ، وإذا كان فى العمر بقية فإنا نتلافى هذه المحنة ، بفضل الله تعالى وحسن صنيعه وتوفيقه ، والخان بما أوتى من حكمة العقل وهو فريد عصره فى التجارب ، يعرف أن هذا هو حال الدنيا ما وجد بها ملوك وجيوش تتحارب ، وقد لقى النبى محمد صلى الله عليه وسلم من كفار قريش يوم أحد ما لقينا من انكسار ولم يؤثر هذا فى نبوته ، وقد تم له ما أراد بعد ذلك ، والحق حق أبدا ، وإذ نحن بحمد الله كالقطب فى صدر ملكنا ، والدنيا مقبلة علينا ، وأولادنا وأولياؤنا وحشمنا نصرهم الله كلهم سالمون فإن تدارك هذه المحنة فى سرعة قريب ، فلدينا من وفير الآلات والعدد ما لا يحصى ، وخاصة إن لنا صديقاً حليفاً كالخان الذى تعهد بألا يبخل علينا بشىء من الجيش والرجال ، والذى إذا التمسنا منه أن يشق على نفسه فإنه لا يضن علينا بجهده ، حتى يبعد عنا ما نكبنا الدهر به ونستريح ، متعنا الله بصداقته وإخلاص قلبه بمنه وفضله . وإنا نرسل هذا الكتاب مع فارس سريع وحين نبلغ غزنة سالمين نوفد رسولاً من المعتمدين فى مجلسنا ، يحمل إليكم منا رسالة أكثر إيضاحاً نذكر فيها ما أغفلنا ذكره ونتحدث فيها بما يجب أن

نقول. وإنا فى انتظار رد هذه الرسالة بأسرع ما يمكن ، حتى نقف على رأى واعتقاد الخان فيما نحن فيه لنتجدد صداقتنا ولنرفل فى حلة السعادة ، ويكون هذا عندنا من أعظم المواهب بإذن الله عز وجل.

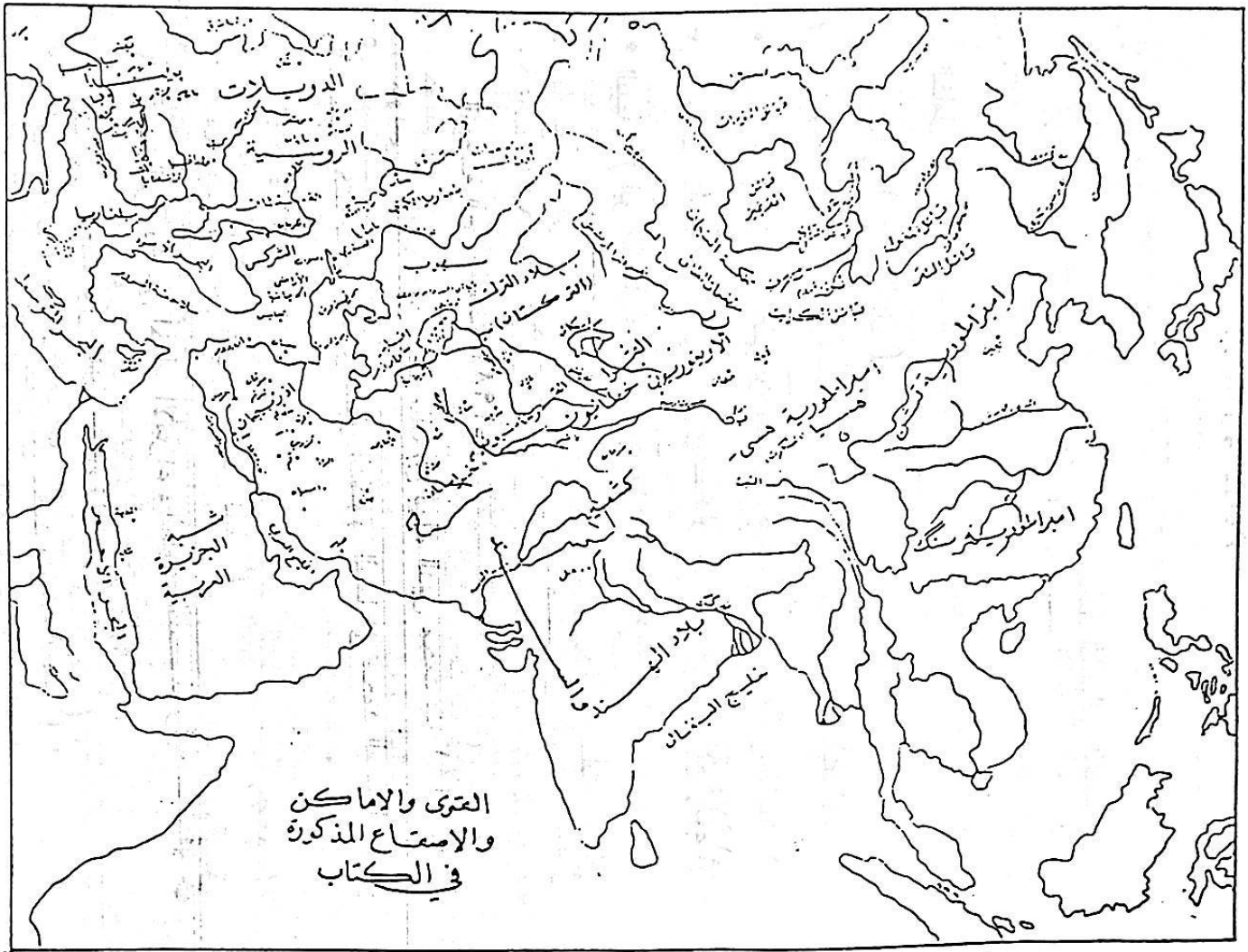
الدويلات
الروسية
بلاد الترك
(القوقاز)
الجزيرة
العربية
بلاد الهند والسند
خليج البنغال
امبراطورية
هيا
امبراطورية
خرسنگ
القرى والاماكن
والاصقاع المذكورة
في الكتاب

# المصادر والمراجع


أولا : المصادر

* ابن الأثير ( أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد الشيبانى الجـزرى ت ٦٣٠هـ ) ٠

١. الكامل فى التاريخ ــ دار صادر ــ بيروت سنة ١٩٦٦م ٠

* الأصفهانى ( عماد الدين ) ٠

٢. تاريخ دولة آل سلجوق ــ دار الرائد العربى سنة ١٩٧٤م ٠

* البندارى ( الفتح بن على بن محمد الأصفهانى)

٣. مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ــ دار الرائد العربى سنة ١٩٧٤م

* البيهقى ( أبو الفضل محمد بن حسين ت ٤٧٠هـ ) ٠

٤. تاريخ البيهقى ــ ترجمة يحيى الخشاب ، صـادق نشـأت ــ دار النهضة العربية سنة ١٩٨٢م ٠

جوينى ( علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد ت ٦٨١هـ)

٥. جهان كشا ــ ترجمة وتحقيق الدكتور السباعى محمد السـباعى ــ القاهرة ١٩٩١م ٠

* الحسينى ( صدر الدين على بن ناصر)

٦. زبدة التواريخ فى أخبار الأمراء والملوك السـلجوقية ــ تحقيـق الدكتور محمد نور الدين ــ بيروت سنة ١٩٨٦م ٠

* ابن خلدون ( عبدالرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ ) ٠

٧. العبر وديوان المبتدأ والخبر ــ بيروت سنة ١٩٧٩م ٠

• الذهبى(الحافظ شمس الدين أبـــو عبـــد الله محمـــد بـــن أحمـــد ت ٧٤٨هـــ) ٠

٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ــ دار الغد العربى سنة ١٩٩٦م

٩. دول الإسلام ــ قطر سنة ١٩٨٨م ٠

• الراوندى ( محمد بن على بن سليمان ت ٥٩٩هـــ )

١٠. راحة الصدور وآية السرور ــ ترجمـــــة إبراهيـــم الشـــواربى ، عبدالنعيم حسنين ، فؤاد الصياد ــ القاهرة سنة ١٩٦٠م ٠

* النظامى العروضى السمرقندى ٠

١١. جهار مقالة ــ ترجمة عبدالوهاب عزام ، يحيى الخشاب ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ الطبعة الأولى ) ٠

• النويرى ( شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ت ٧٣٣هـــ )

١٢. نهاية الأرب فى فنون الأدب ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م ٠

* ياقوت الحموى ( أبو عبـــدالله يـــاقوت بـــن عبـــدالله الرومـــى ت ٦٢٦هـــ) ٠

١٣. معجم البلدان ــ دار صادر-بيروت ٠

**ثانيا : المراجع :**


* أحمد شلبى (دكتور)

١. موسوعة التاريخ الإسلامى ــ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٣م ٠

* أحمد محمد عدوان ( دكتور)

٢. تاريخ دويلات المشرق الإسلامى ــ عالم الكتب بالرياض سنة ١٩٩٠ م

* أحمد محمود الساداتى ( دكتور)

٣. تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ــ دار الثقافة سنة ١٩٧٩م

* أحمد مختار العبادى (دكتور)

٤. من التاريخ العباسى والفاطمى ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ٠

* أحمد وف (بور يبوى ) ، منوروف ( زاهد الله)

٥. العرب والإسلام فى أوزبكستان ــ أكاديمية العلوم الأوزبكية ٠

* بارتولد (فاسيلى ڤلاديمير وڤتش )

٦. تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ــ ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٦م ٠

٧. تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ــ ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ــ الكويت سنة ١٩٨١م ٠

* بروكلمان ( كارل ) ٠
٨. تاريخ الشعوب الإسلامية ــ ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكى ــ دار العلم للملايين ببيروت سنة ١٩٧٧م ٠
* حافظ أحمد حمدى ٠
٩. الدولة الخوارزمية والمغول ــ دار الفكر العربى سنة ١٩٤٩م ٠
* حسن إبراهيم حسن (دكتور)
١٠. تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ــ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٩١م ٠
حسن أحمد محمود ( دكتور) ، أحمد إبراهيم الشريف (دكتور) ٠
١١. العالم الإسلامى فى العصر العباسى ــ دار الفكر العربى سنة ١٩٧٧م ٠
* حسن الأمين
١٢. الإسماعيليون والمغول ــ بيروت سنة ١٩٩٧م ٠
١٣. الوطن الإسلامى بين السلاجقة والصليبيين ــ بيروت سنة ١٩٩٦م٠
* حسين مؤنس (دكتور) ٠
١٤. أطلس تاريخ الإسلام ــ الزهراء للإعلام العربى سنة ١٩٨٧م ٠
* رحمة الله رحمتى
١٥. التهجير الصينى فى تركستان الشرقية ــ رابطة العالم الإسلامى سنة ١٩٨٩م ٠

* سعد الغامدى (دكتور)

١٦. الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند ــ الرياض سنة ١٩٩٦م٠

* سهيل زكار (دكتور) ٠

١٧. تاريخ الدولة العربية فى العصر العباسى الثانى ــ دمشق سنة ١٩٩٦م ٠

* فامبرى ( أرمينيوس )

١٨. تاريخ بخارى ــ ترجمة الدكتور أحمد محمود الساداتى ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر سنة ١٩٩٥م ٠

* محمد حسن العمادى (دكتور)

١٩. خراسان فى العصر الغزنوى ــ الأردن سنة ١٩٩٧م ٠

* محمد السعيد جمال الدين (دكتور)

٢٠. دولة الإسماعيلية فى إيران ــ القاهرة سنة ١٩٧٥م ٠

* مصطفى رمضان (دكتور)

٢١. العالم الإسلامى فى العصر العباسى ــ القاهرة سنة ١٩٩٨م ٠

# الفهـــــرس


| | |
|---|---|
| مقدمـــــة | ٢ |
| أصل القراخانيين | ٥ |
| قيام الدولة القراخانية | ٨ |
| عصر ساتوك بوغراخان واستقرار القراخانيين | ١٢ |
| نهاية الدولة السامانية واستقلال الدولة القراخانية | ١٤ |
| محاولة السامانيين إحياء دولتهم مرة أخرى | ٢٤ |
| العلاقة بين القراخانيين والدولة الغزنوية | ٢٩ |
| أحوال القراخانيين السياسية | ٣٤ |
| انقسام الدولة القراخانية | ٥٠ |
| غزو السلاجقة للدولة القراخانية | ٥٤ |
| مقتل أحمد خان واضطراب أحوال الدولة القراخانية الغربية | ٦٦ |
| ثورة ساغربك في بلاد ما وراء النهر | ٦٩ |
| نهاية الدولة القراخانية الشرقية | ٧٢ |
| نهاية الدولة القراخانية الغربية | ٧٤ |
| مظاهر الحضارة في الدول القراخانية | ٧٩ |
| المصادر والمراجع | ١٠٦ |